حديث الجمعة

للامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة

ومشيخة الطريقة العزمية

السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع

بورسعيد

تليفون المكتبة / 002 022 3901030

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذى لا نرجو إلا فضله، ولا نخشى إلا عدلـــه، ولا نعتمـــد إلا قوله، ولا نمسك إلا بحبله، والصلاة والسلام على خير الخلق، والداعى إلى الحـــق سيدنا محمد وعلى آله الشجرة النبوية﴾، والدوحة الهاشمية، وصـــحبه وســـلام الله تبارك وتعالى على الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائمﷺ ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم آمين .

و بعد فتقدم دار المدينة المنورة – وهى الهيئة التابعة لمشيخة السادة العزمية المنوط طبع ونشر وتوزيع الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائمﷺ – الطبعة الأولى من سلسلة " حديث الجمعة " وهو مجموعة الدروس التى كان يلقيها الإمام المجدد رضى الله عنه كل يوم جمعة إما قبل صلاة الجمعة و﴿إما بعد الصلاة .

و قد حرص والدى الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبو العزائم ﷺ علـــى أن يجمع هذه الدروس لينشرها فى سلسلة تخرج تباعا ولكن حال دون تنفيـــذ هـــذه الرغبة مرضه الذى استمرت سنوات طوال .

و قد أوصانى رضى الله عنه قبل انتقاله بطبع ونشر " حديث الجمعة " فالحمـــد لله الذى وفق وأعان على إخراجه .

و كتاب " حديث الجمعة " يبحث فى التوبة وبيان أنها انتقال وتحول فى خط الحياة وطبيعة السلوك، لأنها نتاج تغير نفسى وفكرى يحدث فى أعماق الإنسان .

وقبول التوبة فى واقعه يعبر عن حب الله لعباده، وكمال صفات العفو والرحمة لديه سبحانه وهى تعبر عن إرادة الله الخيرة، واستمرت فيوضات اللطف والخير وشمولها لمسيرة الإنسان ليندمج فى طريق الخير كما خرجب من يد بارئهـــا، بعيـــدة عـــن الانحراف والتيه والتردى فى متاهات الشر والانحراف.

و إذا كانت التوبة سبيلا لإصلاح الفرد، فهى كذلك من أجل وأنجـــح وســـائل الدفاع الاجتماعى ضد الجريمة والاعتياد عليها، لأنها تشد ذوى الذنوب والآثام إلى الصلاح شدا، وتبعث فيهم دائما أمل الاستقامة، وتؤهلهم للخير والفضيلة، كمـــا أنها تستصرخ فيهم عزيمة التمرد على الانحراف والجنوح .

و إذا كانت التوبة فى مضمونها رفضا سلوكيا للمعصية، فإنها انتفاضة عملاقة على عوامل الفساد ودواعى الشرور التى دأب أعداؤنا المستعمرون على إشاعتها ونشرها لهدم قيمنا الإسلامية وتفويض حضارتنا الزاهرة .

و قد بين لنا الإمام المجدد رضى الله عنه فى كتاب (حديث الجمعة) أنه إذا زلت بنا الأقدام، وأحاطت بنا الآثام، أنعم الله علينا، بفتح باب التوبة للتائبين، يدخلونه غير خائفين، تتساقط عنهم الخطايا والذنوب، ويخرجون كما ولدتهم أمهاتهم.

و ما أروع مواجيد الإمام المجدد فى التوبة وهو يضيء جوانبها بقصائده فيزيد التوبة وضوحا، ويملأ قلب التائبين غنى وثراء بعباراته .

" وكتاب حديث الجمعة " يبحث فى العبادة ويبينها أنها ليست محدودة بمجموعـــة من التكاليف والأعمال .... وإنما تتسع لتشمل كل ما يصدر عن الإنسان بدافع القرب إلى الله والاستجابة لأمره، والانتهاء بنهيه .

إلا أن العبادة لها استعمال خاص عند فقهاء الشريعة، يطلقونها بشكل اصـــطلاحى على بعض الأعمال التعبدية بصورة خاصة، كإقام الصلاة وإيتاء الزكـــاة وصـــوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

فهذه الأفعال يشترط فى صحتها القُربة حين وقوع الفعل بعكس غيرها من الأفعال الأخرى كعقد البيع والشراء، والزواج أو المواريث، والطلاق والقضاء والحكـــم. فإن صحة وقوعها لا تحتاج فيه القُربة .

إلا أنه بإمكان المسلم الذى يمارس هذه المعاملات، أن يحصل بها ثوابا من الله تعالى بأن يجعل نية القُربة إلى الله سبحانه هى الأساس، فيطابق بين أفعاله وبين مشيئة الله وإرادته بقصد الاستجابة لأمر الله .

و بذا يحقق مفهوم العبادة بحقيقته التى هى الخضوع لإرادة الله ومشـــيئته والاستجابة لأمره فبإمكان العالم، والتاجر، والعامل، والفلاح، والقاضى، والطبيب، والمحامى، أن يكون متعبدا وهو يمارس نشاطه الإجتماعى، وعمله اليومى، عنـــدما يقصد فى نفسه الاستجابة لأمر الله ويستشعر مع هذا القصد معنى طاعى لله .

كما أوضح الإمام المجدد رضى الله عنه فى هذا الكتاب أن العبادة الخالصة والعمل الصالح بعد التوبة يبدل الله به السيئات حسنات قال تعالى : (إلا من تاب وآمـــن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيائتهم حسنات، وكان الله غفروا رحيما)

و ما أحلى مواجيد الإمام المجدد فى العبادة وهو يشدو فى قصائده بـــأن الله جعـــل الخلد والنعيم فى الجنان لا يتحقق إلا بالتزام النفس البشرية بالعبادة الـــتى توصـــل الإنسان لرضاء الله سبحانه كما جعل تركها سببا للعذاب والحرمان قال تعالى : " ولكل درجات مما عملوا " .

و كتاب " حديث الجمعة " هو دراسة لعلوم الصوفية لمن يريد التزود من رواد هذه المعرفة، ولمن يبتغى الإلمام بجوانب هذه العلوم، ولمن يقتضر على حب الاستطلاع كخطوة فى مجال البحث .

و كتاب " حديث الجمعة (يرشدك للتعرف على الصوفية وعلومهم كما هم، لا كما يعرفهم الحاقدون من طلاب السيادة على المسلمين وإثارة الفتن بينهم .

و دار المدينة المنورة إذ تقدم للقارىء المسلم السلسلة الأولى من كتاب (حديث الجمعة)لترجو أن يقف القارىء على مدى أهمية التوبة والعبادة وعمق آثارهما الفنسية والسلوكية والاجتماعية فضلا عن دورهما القيادى الرائد .

كما ترفع أكف الضراعة إلى الله تعالى أن يوفقنا جميعا للتوبة الصادقة والعبادة الخالصة.

ربنا إنك (لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)

مشيخة السادة العزمية
١١٠ شارع ممجلس الشعب
في يوم الخميس ٢١ صفر ١٤٠٢هـ
الموافق ١٩٨١/١٢/١٧م

الخليفة الثاني
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم

مقـــــــدمة

الإمام الممتحن

السيد احمد ماضى أبو العزائم

١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م

الحمد لله أهل الحمد، والصلاة والسلام على سيد خلقه وخاتم أنبيائه، وعلى آلـــه أنوار الهدى، وأعلام الورى، وأصحابه المجاهدين. ورضى الله تبارك وتعـــالى عـــن الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم آمين .

و بعد :

فكتاب (حديث الجمعة) يضم الدروس التى كان يلقيها الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم يوم الجمعة. وقد قمت بجمع هذه الدروس لكـــى أخرجهـــا فى سلسلة متكاملة للمسلمين عامة وآل العزائم خاصة .

و السلسة الأولى تشتمل درسين للإمام المجدد ..

الدرس الأول : فى التوبة وتعريفها وأقسامها، وخصالها وعلامـــة الصـــدق فيهـــا ودرجاتها، وأقوال الصوفية فى التوبة ثم التائبين وأنهم أهل الفرقة الناجية، ثم يختـــتم رضى الله عنه الدرس بقثائد فى التوبة .

الدرس الثانى : فى العبادة وتعريفها وأركانها، وأنها روح الأعمال، وأوصاف الداعى إلى الله، وأقسام العبادة من الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضـــان وحج البيت ثم يختم رضى الله عنه الدرس الثانى بقصائد فى العبادة .

و إنى إذ أقدم " حديث الجمعة " لأرجو أن يذيق التائب جسمه حلاوة الطاعـــة، كما

أذاقه لذة المعصية، حتى يلقى الله أملس ليس عليه ذنب.

كما أرجو أن يعى التائب مدى ما فى العبادة من شمول فيغطى كل الأعمال والأقوال

و الأحوال. فالصلاة والصدقة، والزكاة والجهاد، والصوم والتفكر فى خلق الله، والحج وصلة الرحم، وأداء الأمانة والعدل بين الناس .... كُلٌّ تلك الأعمال عبادة ما دام الداعى إلى فعلها أو تركها هو الاستجابة لأمر الله .

" إن فى هذا لبلاغا لقوم عابدين "

الـدرس الأول

التـوبة والتائبيـن

التوبـــــة

تعريف التوبة :

هي الإقلاع عن الباطل قولا وعملا واعتقادا، والرجوع إلى الحق قولا وعملا واعتقادا .

و لا تقشعر الجلود ولا تميل القلوب للتوبة إلا بولاية من الله سبحانه وتعالى للعبد، وعلم يتفضل به عليه يكشف له به الستار عن الباطل وقبحه، وعن الحق والخـــير الذى ينال به الفوز حتى تحل الرغبة فى الحق محل الرغبة عنه، والمسارعة إلى الخـــير محل المسارعة إلى الباطل، وعندها يتمثل للسالك قبح عمله وسوء فعله، وما فاتـــه من الخير العظيم فى زمان معصيته، وما ارتكبه من الإثم العظيم وتعديه حدود ربـــه سبحانه وتعالى، ويتمثل ما كان يناله من الخير، وما اكتسبه من الآثام، فتضيق عليه الأرض بما رحبت، ويخرج بالعزم من عوائده ومألوفاته ومخالفة أمر ربه، وتضـــيق عليه نفسه فيفر منها إلى الله تعالى بالحزن والندم الشديدين، حتى تهب عليه نسمات وسعة الفضل العظيم، وشامل الرحمة، ونور غافر الذنب وقابل التوب. فالتوبة هى أولا أن يتوب الله على العبد بما يرد عليه منه سبحانه وتعالى من نور العلم الـــذى يشعر قبله بفضل الله عليه، وحسن عنايته به فى الدنيا والآخرة، ويشـــهده ســـوء صنيعه مع الله سبحانه وتعالى، وظلمه لنفسه بمخالفته أمره سبحانه، فيقبل تائبا على ربه، ولو لم تسبق التوبة من الله للعبد فضلا منه وكرما لم يستطع العبد أن يتوب لا حول ولا قوة إلا بالله، فالتوبة عن الكشف والوجد دليل عناية الله بالعبد، وبرهان على اقباله سبحانه وتعالى عليه، والتائبون قليلون لأن أهل محبة الله قليلون، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [1]، ودليل ما قـــررت

(١) البقرة آية ٢٢٢

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (1).

فقوله : (السوء بالجهالة) دليل ما قررته أن فاعل السيئات جاهل، ولو علم أنها ذنوب، لجهله بعظمة من خالفه وعقوبته عليها، ولا توبة لتوبته ما دام جاهلا هذا الجهل حتى يرد عليه العلم من الله فيكشف له حقيقة قبح عمله، وسوء مواجهته لربه .

و قوله : (ثم يتويون من قريب) أى عند انكشاف الحق لقلوبهم بما ورد عليها من الله تعالى، وهذا لا ينافى ما قرره أهل التفسيرفى قوله : (من قريب) أى قبل الموت بزمن

يسع التوبة متعلقين لها (فأولئك يتوب الله عليهم)، وتوبة الله تعالى عليهم أن يورد عليهم هذا الوارد الربانى، ويوفقهم للاعتراف والندم، والعزم على عدم العودة إلى المعصية حتى يقبل منهم توبتهم، ولديها يبدل أعمالهم السيئة بأعمال حسنة بتوفيقه. وعقائدهم الباطلة بعقائد القرآن بعنايته ، وأحوالهم الشريرة بأحوال الصديقين بحسن توجهاته، قال تعالى : ﴿ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (2)، ولديها يكونون أبدالا للصديقن، وأئمة للمتقين، يحبهم الله تعالى ويحبونه .

النـدم توبة :

أسأل الله أن يوفقنى وإياك للتوبة النصوح، الخالصة لذاته الأحدية من الذنوب التى توجب النقم، وتغير النعم، وتحبس غيث السماء وتديل الأعداء، قال الله تعالى :

---

1) النساء آية ١٧

٢) الفرقان آية ٧٠

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١). عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾يقول : " التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحب الله عبدا لم يرضه ذنب "، ثم تلا ﴿ ﷺ وآله﴾ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢)، قيل يارسول الله : وما علامة التوبة ؟ قال الندامة، عن أنس ابن مالك أيضا أن النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ قال : " ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب "، والتوبة أول مترل من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين، وحقيقة الرجوع إلى الله والندم على ما فات :

إلى قابل التوب المجيب أنيب و أسأله فضلا على يتوب
يطهر أعضائى يزكى لطيفتى لتشرق لى بعد الحجاب غيوب
فإنى أرى أمارتى فوق طاقتى يمثل لى حال المتاب رقيب
أيارب أعضائى ونفسى وشهوتى أيارب طهرها فأنت مجيب
و عفوا عن الزلات والذنب كله تنزل وليا أنت أنت حسيب
و هب لى العناية والولاية والهدى أمتنى على الإسلام فهو نصيب
و قلبى فطمئنه بذكرك أغننى بفضلك يا مولاى أنت قريب

قال النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ : " الندم التوبة "، فأهل الأصول من أهل السنة قالوا شرط التوبة حتى تصح ثلاثة أشيائ : الندم على ما عمل من المخالفات. وترك الزلة فى الحال. والعزم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصى. فهذه الأركان لابد منها حتى تصح التوبة .

---

١) النور آية ٣١

(٢) البقرة آية ٢٣٢

أقوال الصوفية فى التوبة :

سئل ذو النون المصرى عن التوبة فقال : توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة. وكان عبد الله بن على بن محمد التميمي يقول : شتان ما بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات. وقال ذو النون :

حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يطيب لك قرار، ثم تضيق عليك نفسك، كما أخبر الله تعالى فى كتابه بقوله : ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ ﴾ (١). وقال ابن عطاء : التوبة توبتان توبة الإنابة، وتوبة الاستجابة، فتوبة الإنابة أن يتوب العبد خوفا من عقوبته، وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرم الله تعالى. وقيل لأبى حفص : لم يبغض التائب الدنيا ؟ قال لأنها دار باشر فيها الذنوب، فقيل له ايضا : هى دار أكرم الله فيها التائب بالتوبة، فقال : إنه من الذنب على يقين، ومن قبول توبته على وجل. وقال رجل لرابعة : إنى قد أكثرت من الذنوب والمعاصى فلو تبت هل يتوب على. فقالت : لا بل لو تاب عليك لتبت .

قال يحيى بن معاذ : زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها. وعن أبى عمر الأنماطى : ركب على بن عيسى الوزير فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون : من هذا، من هذا ؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق : إلى متى تقولون : من هذا من هذا. هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون، فسمع على بن عيسى ذلك فرجع إلى منزله، واستعفى من الوزارة، وذهب إلى مكة وجاور بها. قال الله تعالى فى خطاب العموم:

---

(١) التوبة آية ١١٨.

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) معناه : ارجعوا إليه من هوى نفوسكم، ومن ملازمة شهواتكم حتى تظفروا بمعية ربكم عز وجل فى نعيم لا زوال له، ولا نفاد، ولكى تسعدوا بجنة عالية قطوفها دانية وتنجوا من النار، فهذا هو الفلاح .

التوبة النصوح :

قال تعالى فى مخاطبة الخصوص : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًاعَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٢) فنصوحا معناه خالصة لله تعالى، وهى الاستقامة على الطاعة من غير روغان إلى معصية كما تروغ الثعالب، وأن لا يحدث نفسه بعودة إلى ذنب مضى قدر عليه، وأن يترك الذنب لأجل الله تعالى خالصا لوجهه الكريم كما ارتكبه لأجل هواه الذميم، مجمعا عليه بقلبه وشهوته، فمتى أتى الله عز وجل بقلب سليم من الهوى، وعمل خالص مستقيم مع السنة، فقد ختم له بحسن الخاتمة، وحينئذ تدركه الحسنى السابقة، وهذه هى التوبة النصوح، وبها يكون هذا العبد هو التواب المتطهر الحبيب الذى سبقت له من الله الحسنى، ومن تداركه ربه بتوبة رحمه بها من سابقة السوءى، وليس أحب إلى الإنسان الكامل من أن يكون ممن ذكرهم الله فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٣)، وكما قال ﷺ وآله﴾ : " التائب من الذنب كمن لا ذنب له "، وسئل الحسن عن التوبة النصوح فقال : هى ندم بالقلب واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، والعزم أن لا يعود إلى ذنب. وقال أبو محمد سهل رحمه الله : ليس من الأشياء ما هو أوجب على الخلق

---

(١) النور آية ٣١ .

(٢) التحريم آية ٨ .

(٣) البقرة آية ٢٢٢.

من التوبة، ولا عقوبة آلم عليهم من جهل علم التوبة. وكان يقول : من ظـــن أن التوبة ليست بفرض فهو كافر، ومن رضى بقوله فهو كافر. وقد جعل سيدنا على كرم الله وجهه ترك التوبة مترلا للعمى، وقرنه باتباع الظن، ونسيان الذكر، فقـــال من عمى نسى الذكر، واتبع الظن، وطلب المغفرة بغير توبة نصوح.

ففرض التوبة الذى لابد للتائب منه هو الإقرار بالذنب، والاعتراف بالظلم،و مقت النفس على الهوى، وترك الإصرار الذى كان عقده على عمل السيئات، وإصـــابة الحق بقدر طاقته ثم الندم على ما فات من السيئات .

خصال التوبة :

و مجمل ما على العبد فى التوبة وما تعلق بها عشر خصال : –

١ – حق عليه أن لا يعصى الله تعالى.

٢ – إن ابتلى بمعصية لا يصبر عليها .

٣ – التوبة إلى الله تعالى منها.

٤ – الندم على ما فرط منه .

٥ – عقد القلب على الاستقامة على الطاعة إلى الموت.

٦ – خوف العقوبة .

٧ – رجاء المغفرة.

٨ – الاعتراف بالذنب .

٩ – اعتقاد أن الله تعالى قدر عليه ذلك وأنه عدل منه.

١٠ – المتابعة بالعمل الصالح قال

﴿ ﷺ وآله﴾ : " وأتبع السيئة الحسنة تمحها " .

و المتصف بتلك الخصال كلها هو التائب حقا، ومن قصر فى صفة منـــها كانـــت توبته بقدر مجاهدته لنفسه، وإذا لاحظت عناية الله عبدا يسر له جميعها، وتفضـــل بمحبته سبحانه وتعالى له .

عمر العبد أمانة :

قال بعض العارفين : إن الله تعالى يوحى إلى عبده سرين : أحدهما إذا ولد وخرج من

بطن أمه. يقول له : عبدى قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفـــا، واســـتودعتك عمرك

و أتمنتك عليه، فانظر كيف تحفظ الأمانة، وانظر كيف تلقانى كما أخرجتك. وسر عند خروج روحه يقول : عبدى ماذا صنعت فى أمانتى عندك ؟ هل حفظتها حتى تلقانى على العهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء ؟ أو أضعتها فألقـــاك بالمطالبـــة الحساب ؟ فهذا داخل فى قوله عزو جل : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْـــدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (١)، وفى قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (٢) .

فعمر العبد امانة عنده. إن حفظه فقد أدى الأمانة، وإن ضيعه فقد خان الله ﴿ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (٣)، وفى الخبر عن ابن عباس رضى الله عنه : " من ضيع فرائض الله عز وجل من أمانة الله ". وسئل يحيى بن معاذ كيف يصنع التائب فقال : هو من عمره بين يومين، يوم مضى. ويوم بقى. فيصلحهما بثلاث. أما ما

---

(1) المؤمنون آية ٨ .

(2) البقرة آية ٤٠ .

٣) يوسف آية ٥٢ .

مضى فبالندم والاستغفار، وأما ما بقى فبترك اللبس وأهله، وصحبة الصـــالحين،و مجالسة الذاكرين والثالثة لزوم تصفية الغذاء، والدأب على العمل .

علامة صدق التوبة :

و من علامة صدق التوبة رقة وغزارة الدمع. وفى الخبر : " جالسوا التوابين فإنهم أرق الناس أفئدة ". ومن التحقق بالتوبة. استعظام الذنوب كما جـــاء فى الخـــبر : "المؤمن الذى يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق الذى يرى دنبـــه كذباب مر على أنفه فأطاره "، وقال بلاب بن سعد : لا تنظر إلى صغر الخطيئـــة، ولكن انظر ألى من عصيت. أوحى الله إلى بعض أوليائه : لا تنظر إلى قلة الهديـــة وانظر إلى عظمة مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها. فإنما عظمت الذنوب لعظمة المواجهة بها، وكبرت فى القلـــوب لمشـــاهدة ذى الكبرياء، ومخالفة أمره بمزوالتها، فلم يصغر ذنب عند ذلك، ولذلك كانت الصغائر عند الخائفين كبائر .

و قال بعض الصحابة للتابعين : إنكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ من الموبقات. فلم يكونوا أن الكبائر الـــتى كانت على عهد النبى ﴿ ﷺ وآله﴾ صارت بعده صغائر، ولكن كانوا يتسعظمون الصغائر لعظمة الله تعالى فى قلوبهم، و لم يكن ذلك فى قلوب من بعدهم .

حقيقة التوبة :

قال بعض العارفين : حقيقة التوبة أن تضع ذنبك بين عينيك. وقال آخر : حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك. وهذاً طريقان لطائفتين، وحالان لأهل مقامين، فأما ذكر الذنوب فطريق المريدين، وحال يحصل لهم بموحبها وبتذكرها الحزن الـــدائم،

والخوف الملازم، وأما نسيان الذنوب شغلا عنها بالذكر وما يقبل عليه من مزيد الأعمال، فطريق العارفين، وحال المحبين، ووجهة هؤلاء شهود التوحيد، وهو مقام فى التعرف، ووجهة الأولين مشاهدة التوقيف والتحديد، وهى مقام التعريف، ففى أى المقامين أقيم عبد قام بشهود وجهته، وعمل بحكم حالته، ومقام شهادة التوحيد أفضل عند العارفين من مقام مشاهد التعريف، وإن كانت هذه أوسع وأكثر إلا إنها فى أصحاب اليمين، وفى عموم المقربين، وشهادة التوحيد أضيق وأقل وأهله أعلى وأفضل، وهى فى المقربين وخصوص العارفين .

المعصية ظلمة فى القلب :

قال بعضهم : إن العبد إذا عصى أظلم قلبه ظلمة يثور على القلب منها دخان يحجب الإيمان، فهو إذاً سبب حزن العبد الذى تسوءه سيئتُه، ويكون ذلك الدخان حجابا له عن العلم والبيان كما تحجب السحابة الشمس فلا ترى. فإذا تاب العبد وأصلح انكشف الحجاب، فيظهر الإيمان، فيأمر بالعلم كما تبرز الشمس من خدرها، ومن هذا قوله تعالى:

﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [1] قالوا هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب، ويصير الإيمان تحت الحجاب، فلا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا، وعندها ينكس أعلاه أسفله إذا استكمل سواده، فحينئذ يكون قد مرد على النفاق فاطمأن له وثبت عليه إلى أن ينظر الله تعالى إليه، فيعطف بفضله عليه .

(١) المطففين آية ١٤.

مراتب الكفر :

جعل سيدنا على كرم الله وجهه الغفلة إحدى مقامات الكفر، وقرنها بالعمى والشك وميل صاحبها عن الرشد، ووصفها بالحسرة، فقال فى الحديث الذى يروى من طريق أهل البيت قام رجل فقال أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما بنى : قال على أربع دعائم :

على الجفاء، والعمى، والغفلة، والشك، فمن جفا احتقر الحق، وجهر بالباطل، ومقت العلماء، ومن عمى نسى الذكر، ومن غفل حاد عن الرشد، وغرته الأمانى فأخذته الحسرة والندامة، وبدا له من الله ما لم يكن يتحسب، ومن شك تاه فى الضلالة، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بترك متابعة الذوب ودرء السيئة بالحسنة فى قوله تعالى : ﴿ وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ (١) ، وقد جعل هذا من وصف العاملين الذين صبروا فقال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ .

مجالسة التوابين :

هذا ما أحببت أن أورده عليك من أحكام التوبة، ووصف التائبين، لتزن به أحوالك عند إنابتك إلى الله تعالى، ورجوعك إلى طاعته سبحانه، فإن وجدت ما أورده الله على التائبين من حلاوة الإقبال عليه ولذة مواجهته تعالى بلا تكلف منك ﴿ فقل الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ ﴾ (٢).

---

١) القصص آية ٥٤ .

(٢) الأعراف آية ٤٣ .

و إن لم تجد من نفسك العون فتيقن أن ذلك من نزوع نفسك إلى حظ ترجوه عاجلا أو آجلا، أو لتوبتك على غير مشهد من مشاهد التوحيد، أو لشوب فى إخلاصك، فسارع يا أخي إلى مجالسة التوابين، وسماع علومهم منهم، لتشرق على قلبك أنوار التوحيد، وتعرف قدر ما تفضل به عليك ذو الفضل العظيم، وعظيم ما اجترحته فى جانبه سبحانه وتعالى، حتى تنجذب نفسك بالكلية إلى الإنابة إلى الله، فتكون توبتك نصوحا، وتوصف بأنك من التوابين، وتتلذذ بمحبة الله لك فتجدد التوبة لكل عمل تعمله، لعلمك بقدر نفسك وقدر عملك، ومعرفتك مقام ربك، ولو كان فى نظرك قربة لما تشهده فيه من عجزك عن القيام بواجب شكر المنعم المتفضل حتى تنبلج لك أنوار التوحيد، فيحصل البسط والأنس، فتنسى ذنبك، وتقبل على ربك بظاهرك وباطنك، وتكون ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون ﴾ (١) .

درجات التوبة :

العامة يجددون التوبة عند حدوث الذنب، والخاصة يجددون التوبة عنا أعمال البر لشهودهم التقصير فيها، وخاصة الخاصة يجددون النوبة بعد عمل القربات لشهودهم العمل لأنفسهم، لفهمهم التوحيد بالتوحيد، وهنا أمسك القلم عن توبة المحبوبين وإنابة المرادين، لعلو مشاهدهم، وخفاء مواجيدهم، قال الله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (٢) .

فإن العبارة لا تفى بمشاهدهم، والإشارة لا تبين مواهبهم التى تفضل الله بها عليهم، وإنما هو فضل الله العظيم يؤتيه من يشاء، وقد كشفت لك الستار عما يمكن أن

---

١) الأنعام آية ٨٢.

(2) الاسراء آية ٨٥ .

يبلغه مريد الحق إذا عمل بعلمه، وما يورثه الله تعالى للعاملين بعلمهم عليٌّ عن أن يسطر على الأوراق، قال الله تعالى : ﴿ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ (١)، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (٢)،وكفى شرفا بالتوبة أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه يحب التوابين، ومن علم مقدار ما يتفضل الله به على من يحبه يعلم قدر التوبة، ويسارع إليها، ويفوز بالفضل العظيم .

١- التوبة من الذنب

و إنى أنبهك أيها الأخ المسلم أن تلجأ إلى التوبة عند كل ذنب، واثقا بالله سبحانه و تعالى فى وسعة رحمته، معتقدا أنك عبد وأنه رب غفور عفو تواب كريم، ولا يهولنك عظم الذنب فإن ذلك لجهلك بواسع مغفرة ربك، ولا حصوله منك بعد النبوة، فإن ذلك لجهلك بواسع عفوه، بل سارع إلى التوبة عازما على عدم الرجوع إلى الذنب بإخلاص وصدق، ولو أذنبت فى اليوم مائة مرة. وإنما شنع العلماء على التائب العاجز عن عمل الذنب، فإذا قدر عاد للذنب، لأنه لم يتب لله مخلصا. وعلى من تاب بعد الوقوع فى الذنب إذا أصابته بلية باقتراف الذنب فيتوب، منتظرا زوال البلية. كما ذموا من تاب عازما على العودة، وهؤلاء لم يكونوا من التائبين عندنا، ولكنهم لاعبون، وهم مذنبون بتوبتهم، ويجب أن يتوبوا من تلك التوبة، لأنها ليست توبة حقا، ولكنها ذنب آخر يضاف إلى ذنوبهم، ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ

(1) الأنفال آية ٢٩ .

(2) الطلاق آية ٥ .

وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2]، وأمثال هؤلاء يجب عليهم قبل التوبة أن يسارعوا إلى مجالس العلماء الربانيين، ويستفتونهم فى التوبة حتى يعلموهم كيف يتوبون، ولمن يتوبون، لأن أمثال هؤلاء من الغافلين الذين لا ترفع أعمالهم لجهلهم وغفلتهم فى العمل. والجاهل لا يقبل الله منه قليل العمل ولا كثيره .

2- التوبة من التوبة

كان السلف الصالح يبكون بعد الأعمال الصالحة خشية أن ترد عليهم، حتى قال بعضهم : التوبة من التوبة ألزم .و إن ظهر لبعض من لا معرفة لهم بأسرار التوحيد خطأ قائل هذه الكلمة، ولكنهم او كوشفوا بمراده لتابوا من توبتهم، فإن التائب إلى الله إذا شهد عمله فى توبته، واعتقد أنه أورد هذا العمل على الله بحوله وقوته، فهو مشرك شركا خفيا، فمثله يتوب لا من التوبة ولكن من ذنب آخر هو شهوده عمله فيه، لأن التبوة كما قررت آنفا فضل من الله يتفضل الله به على من يحبهم من عباده، فهو وارد من الحق على الخلق، وهو لأهل مشاهد التوحيد، فالرجوع إلى الله بالتوبة فضل الله على العبد فى الحقيقة، وإقبال منه عليه، فإذا شهد العمل لنفسه واطمأن قلبه به فقد جهل فضل ربه عليه بتوبته، ونسى نعمة المنعم عليه برجوعه، فيكون قد بعد عن الله بما يظن أنه أقرب إليه به، فيتوب من هذا الذنب الخفى إلا على أهل مشاهد التوحيد. فقوله تاب من التوبة معناه تاب من

(1 .) يونس آية ٩٠

(2) النساء آية ١٨ .

ذنب ارتكبه فى التوبة. ولأهل الفرقة الناجية مشاهد فى قرباتهم، وأذوق راقية فى عباراتهم .

أسأل الله تعالى أن يمنحنا فضله العظيم، وأن يجعلنا من التوابين المتطهرين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

التوبة عمل من أعمال القلوب والجوارح :

و اعلم أن من أخذ نفسه بالعزم على استبدال قبائح الأعمال بمحاسنها، والإخلاص فى الرجوع إلى الله، والصدق فى العمل له، وملاحظة التوحيد الخالص عند القيام به فهذا هو العمل القلبى، والعمل بالجوارح هو القيام بالفرائض، وملازمة سنن رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وترك ما كان يعمل من قبيح العمل، والمسارعة إلى الواجب والمندوب، ليستبدل كل قبيح عمله بعمل حسن يعمله، وأعد لكل خصومة صلحا، ولكل زلة آتاها للخلق إحسانا يحسن إليهم لوجه الله تعالى، تشبها برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾. وليس بتائب من أهمل عمل القلب وسارع إلى عمل الجوارح، ولا من أهمل عمل الجوارح وسارع إلى عمل القلب، لأنه يتوب من عمل عمله بقلبه وجوارحه، وكل من القلب والجوارح مطالب بالتوبة حتى يتفضل الله عليه بمحبته حقا، لأن النعيم فى الدار الآخرة للروح والجسم، والشقاء فى الدار الآخرة للنفس والجسم، ومتى زكت النفس أفلح الجسم والنفس، وسمى بمجموعها مؤمنا، فإن كلمة الإيمان مدلولها عمل القلب، وعمل الجسم، وليس بمؤمن من اعتقد وترك الأعمال الظاهرة، فإنه كافر عند الله. ولا عمل بالجوارح وترك الأعمال القلبية، فإنه منافق عند العلماء. إنما المؤمن حقا من جمله الله باليقين الحق، ووفقه للأركان والنوافل. إذن فالتوبة لابد أن تكون بالقلب والجوارح .

صور التظاهر بالتوبة :

إن كثيرا من أهل الجهالة يتكلفون الأعمال الصالحة أمام الخلق، وقلوبهم قلوب الشياطين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ومن أهل الجهالة من يتكلف الخفاء بالأعمال عن الناس، وهمته متوجهة إلى الشهرة والظهور، فتكون الأبدان متقلبة فى الطاعات، والقلوب مظلمة بالغفلات .

و منهم من يتكلف الخروج عن الاعتدال، ظنا منه أن ذلك تزكية للنفس، وتهذيب لها، كما فعل بعض الأفراد الذين خرجوا إلى الغابات فرارا إلى الله تعالى، فيشتبهون بهم فى أعمالهم البدنية. ويجهلون مشاهدهم العلية. فتكون لهم بعد ذلك شهرة بين الناس، ومنزلة فيقبلون على الدنيا كالذئاب .

ومنهم من يحفظ كلام القوم ويلقيه على العامة ليجذب قلوبهم إليه، ويسلب أموالهم

منهم، وهم فى عملهم هذا يروغون روغان الثعالب .

و منهم من ينظر إلى أهل زمانه نظر اردراء، فيمقتهم ويبحث عن عيوبهم، ويحفظ ما ورد فى ذم الأعمال السيئة والبدع المضلة، جاهلا بحقائقها، غافلا عن سر مدلولها، وعمن قيلت فيهم، فيقوم مشنعا على العامة فى أعمال ليست من البدع، ولا من الضلالة فيكون آلة للشيطان، يفرق جماعة المسلمين فيشغلهم عن الموارد الهنية، والمشاهد العلية، ويظن أنه مجدد للسنة، وهو مغرور محجوب مبعود عن الله.

ومنهم من يشتغل بالتفضيل فيفضل زيدا على عمرو، حتى يشغل المسلمين عن سنى الأحوال ومقبل الأعمال كما فعل الرافضة، ومن غالى من الشيعة، وكما فعل بعض جهلاء المتكلمين، كل ذلك من الجهل بالله، ومن الجهل بالنفس .

و الأولى بهؤلاء أن يفتشوا عن مرشد كامل يتلقون عنه الحكمة والمعرفة، ويتركون شأن العامة، فإنهم على خير. كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : اللهم إيمانا

كإيمان العجائز. وكما قال بعض العارفين : اللهم إيمانا كإيمان الأميين. وقد بينت فى كتاب تذكرة والمرشدين والمسترشدين ما ينبغى أن يكون عليه العالم والمتعلم، والمرشد والمسترشد، والله أسأل أن يحفظ جماعة المسلمين من الأمراض المنتشرة من هؤلاء، وهم الذين فرقوا الأمة إلى بضع سبعين فرقة، أعاذنا الله من شرهم، وقد بينت فى باب تراجم أفراد الصحابة وأئمة السلف نماذج للصراط المستقيم لطالب الله تعالى، يهتدى بها فى سيره، وتستنير بها سريرته، لأنهم أئمة الهدى الذين أمرنا الله أن نسأله الهداية لطريقهم فى كل يوم أربعين مرة، لقوله تعالى : ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ *صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ (1)، فهم الذين أنعم الله عليهم أعاننا الله على انتهاج سبيلهم، ووفقنا للعمل الذى يحبه ويرضاه آمين .

(1) فاتحة الكتاب آيتى ٦، ٧ .

التائبون

التائبون هم أهل الفرقة الناجية :

الفرقة الناجية هم الذين عناهم جل وعلا فى قوله : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ ﴾ (١) وهذه الآية الشريفة فصلت لنا إجمال ما كملهم الله تعالى به من المقامات، والأحوال، فإن المؤمن الكامل الذى جمله الله بما كان عليه رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ هو وأصحابه لا يكون من أهل الفرقة الناجية، إلا إذا جمع الله له تلك المعانى، ويسرها له وسهلها عليه.

التائبون تخلقوا بالقرآن :

يقرأ المؤمن القرآن متدبرا، فيتحقق منه فى القسم الإلهى باعلم النافع، ذوقا وحالا، فإذا قرأ أخبار الرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام نظر بعين فكرته، وشهد ببصر عبرته ما أدى إلى غضب الله فاجتنبه، وما أدى إلى رضوان الله فجاهد نفسه أن يتخلق به، ثم نظر إلى ما كان عليه رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم من الصبر على ما تتحمله القوى البشرية، فيصبر عند المقتضيات على قدر مترلته، تشبها بهم صلوات الله وسلامه عليهم، وما كانوا عليه من الرحمة بالخلق، والحرص، والغضب لله عند مقتضاه، والغلظة على أعداء الله عند لزومها، فيجاهد نفسه أن يشتبه بهم عليهم أفضل الصلاة والسلام فيما يعتوره من الشئون المناسبة لمكانته، ثم

(1 .) التوبة آية ١١٢

يجتهد أن ينبه إخوته المؤمنين على الأعمال التي أوعد القرآن فاعليها بسوء العاقبة بالحكمة والموعظة، وينشط العاملين من إخوته بما مدحه القرآن من الأعمال، و يمدحهم مدحا يقوى به الإيمان فى قلوبهم، ويشجعهم على ذلك، ثم يتدبر آياته فى الأحكام الشرعية ويتحقق أن هذا الأمر من الله تعالى خاصا به دون غيره، فيسارع إلى تنفيذ ما أمر الله به عند الاستطاعة غير ناظر إلى غيره، ولو أهمل وترك، فإن المرء المؤمن أشفق الناس على نفسه، وأرحم الناس بها، فيرى أنه أولى بنيل الخير الأبدى من كل الخلق، فمتى سمع من القرآن أرا بمعروف، أو تنبيها بفعل خير، أو ترغيبا فى عمل صالح، سارع إليه كائنا ما كان، وترك غيره حتى إذا أعانه الله تعالى على فعل الخير واطمأن على نفسه بالقيام به حق القيام فالأولى له بعد ذلك أن يرشد إخوته المؤمنين، وإن أهمل القيام بما علم وقام فنظر إلى إهمال الخلق، و لم ينظر إلى عيوب نفسه وتقصيرها، كان ذلك سببا فى هلاك نفسه، وكان كالشمعة تضيء لغيرها وتحترق .

و إنما يقرأ المؤمن القرآن ليتجمل بحلاه، وينهل من طهوره المختوم، ويتجمل بجماله، ويتناول من لذيذ معانيه قوتا لقلبه، وغذاء لروحه، وطعاما لنفسه، ومن علامة الغفلة أن يقرأ الإنسان القرآن ثم يسخط على الناس، ويقول هلك الناس وهو فى الحقيقة الهالك ...

التائبون أسرع استجابة لأوامر القرآن ونواهيه:

أنت أيها القارىء للقرآن عليك أن تسارع إلى نجاة نفسك، وما عليك من غيرك، فإذا تجملت بجمال القرآن، وأطاعتك نفسك كنت داعيا إلى الحق بعملك قبل قولك، وبقولك قبل مالك، وأشرقت منك أنوار القرآن على أهل القرآن، فكنت بينهم كالشمس المشرقة يهتدون بنروك، ويستضيئون بقولك وعملك. إذا سمعت

ربك سبحانه يقول : (يا أيها الذين آمنوا)، فاستجب لربك، وقل لبيك ربى وسعديك، واصغ بأذن قلبك إلى ما يقوله ربك، فإن أمرك فسارع إلى السمع والطاعة، وانظر بعين بصيرتك إلى نفسك، فأنت أرحم الناس بها، وقم فخلصها من خطاها وهواها، وغض بصرك عن غيرك فإنما أنت المنادى بنفسك من ربك، والمنادى هو الله لا أنت، فاستجب لله أولا ثم قم مناديا بنداء ربك، لأنك عملت بما أمر .

التائبون أهل القرآن :

فإذا تلوت الآية فيها الثناء من الله والبشائر منه سبحانه فتدبرها ببصر ناقد، وقلب واجد، وتمثل قدر الثناء من الله تعالى الذى تسارع إليه الأرواح الطاهرة، وجاهد نفسك كل المجاهدة أن تلتحق بمن أثنى الله عليهم، أو تتشبه بهم فتكون ممن أثنى الله عليهم، وتشبه بهم وأى مجد أعظم درجة من مجد من أثنى الله تعالى عليه، ثم تأمل فى الأعمال التى بشر لله عليها عباده، ونافس فى أن تكون ممن بشرهم الله تعالى بقوله : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (١) ثم تنبه عند تلاوة الآيات التى يذكر الله فيها النعيم الذى أعده لعباده المؤمنين، والخير الذى جعله لهم عند ذكر الجنة ووصفها، وبيان ما فيها مما تشتاق إليه النفوس، وتبذل لأجله كل نفيس وغال، فإذا قرأت تلك الآى فتمثل الآى بخيالك الملاذ الجسمانية النفسانية، والنعم العظمى التى لا نصب فيها ولا زوال لها، وتدبر ما تناله فيها من مشاهدة وجه ربك جل جلاله، ونيل رضوانه ومجاورة رسله الكرام، وأهل محبته من صفوة عباده، واستسهل كل ما يوصل إليها فى نظرك، وانظر إليه حقيرا بالنسبة لها، ولو كان فى ذلك بذل المهج فضلا عن الأولاد والأموال، فإن نفسا فى الجنة خير من الدهر كله فى أكمل نعيم

---

١) المطففين آية ٢٦ .

الدنيا، وكيف لا ؟ ومهما كمل نعيم الدنيا فذكر الموت ينغصه، وكل لذة تنقلب ألما إذا تذكر الإنسان سوء عاقبتها، وكل ما رغبت نفسك فيه مشوب بالأوصاب والبلايا التى ينالها الإنسان فى جمعه، وما يقتضيه جمعه من ضرر الغير، فشتان بين نعيم مقيم فى جوار رب العالمين، وفى أمانه ورضوانه الأكبر، وبين مالا ينال إلا بالمضار، والأوصاب، ولا دوام له، وعاقبته العذاب.

لعلك إذا تخيلت تلك المعانى فى تلاوتك ظهرت لك الجنة جلية فشهدت ما فيها حتى

كانك على أبوابها :

جنة عرضها السموات والأرض

أعدت والوجه مر أى الرجال

التائبون يمشون على الصراط :

و بذلك تقبح فى عينك ملاذك، وتسر ذل خظوظك، ومتى استقبحت آمالك فى الدنيا، واستنكفت أن تبيع النعيم الأبدى ورضوان الرب العلى بلذة عاجلة، وأمل كله وصب يزول عن طالبه، أو يزول هو عنه، وليس المؤمن بكامل الإيمان إن لم يتحقق أنه يمشى على الصراط الذى هو أحد من السيف، وأدق من الشعرة، وأن الجنة فى نهياته فيسارع إليها، وأن الحطمة تحت قدميه فيخشى أن ينكب فيها، وأن أعماله فى الميزان، فيجب أن يثقلها بالعمل الصالح، ذلك لأن القرآن الشريف كرر تلك المعانى على المؤمن لتقوى الذكرى بها، فتكون ذكراً، فلا تنسى ثم يتصورها الخيال فتنطبع فيه بأكمل جمالاتها، فلا تغيب عن النفس طرفة عين. وقد سأل ﴿ ﷺ وآله﴾ سيدنا عمران بن حصين فقال له : كيف أصبحت.

فقال : أصبحت يا رسول الله كأنى أرى عرش ربى وكرسيه. فقال له ﴿ ﷺ وآله﴾ : عرفت فالزم .

فالمؤمن إذا قرأ آيات البشائر بالنعيم والرضوان بحث عن أهلها الذين يتفضل الله عليهم بهذا الفضل العظيم، وفتش عن صفاتهم التى أثنى الله بها عليهم فسارع إليها، ومسارعته إليها هى مسارعة إلى المغفرة، والجنة، والرضوان قال الله تعالى : ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (1) .

و المسارعة إلى تلك الصفات التى ذكرها الله إنما هى مسارعة من يعلم قدر النعمة التى ينالها، والفضل العظيم الذى يفوز به، والخير العظيم الذى يحظى به من الله تعالى، ويكون فى عمله هذا كأنه فى أعلى مراتب الجنة تصديقا لوعد ربه، وتلذذه بتوفيق الله له للعمل بما يحبه، فيكون كأنه فى جنتيت : جنة روحانية، وهى بهجة نفسه بالتوفيق والعناية والهداية وجنة جسمانية : وهى تلذذة بطاعة ربه فى تلك الدار الدنيا، ويكون له جنتان يوم القيامة، قال الله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (2) .

هذا ما ينكشف لك يا أخى عند تلاوة آى البشائر، والوعد، فإذا أنت قرأت آيات

---

(1) آل عمران آية ١٣٣ – ١٣٦ .

(2) الرحمن آية ٤٦ .

الوعيد والعقاب اقشعر جلدك، وظهرت لك جهنم بما فيها، كما أخبر الله تعالى ظهورا يشيب لهوله الطفل. ونار الحجاب عن الله بسبب الأخلاق والعقائد الباطلة التي تكب المرء على أم رأسه في نار الغضب، وهي أشد من نار جهنم لأنها المؤدية إليها، وتخيلت أن من فعل تلك الأعمال عذب بنارين، نار نفسانية، ونار جسمانية، أما النار النفسانية فما يعلوه من الحزن والأسف. وأما النار الجسمانية فما ابتلى به من معصية الله، ويرى الجحيم أمامه مكاشفة، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ (1).

التائبون يفرون مما يؤدى إلى غضب الله وسخطه :

فتصور يا أخي أعاذني الله وإياك من الأعمال التي توجب غضب الله وسخطه وأليم العذاب يوم القيامة الذي توعد به الله المخالفين لوصاياه، وارسمها على خيالك عند قراءة الآيات المقتضية لذلك ثم ابحث عن الأعمال والصفات والعقائد والأحوال التي تؤدى إلى هذا العذاب الأليم، فاجعل بينها وبينك كما بين المشرق والمغرب، واجعل لك حصنا منيعا من سنة مولانا رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، ووقاية من العمل بهدى السلف الصالح، وخشية من ربك جل جلاله بحفظك الله بها من الوقوع في مخالفته جل جلاله، وكن يا أخي كالرجل الجائع الذي إذا ذكر له الطعام تنبهت شهوة الجوع في معدته لتخيله طعمه وريحه، فإذا ذكرب آيات البشائر والنعيم تنبهت الرغبة في قلبك، وتباعدت عما يوجب الحرمان منها .

و لقد كرر الله تعالى قصص الأنبياء، وأخبار الجبابرة، وأحاديث المؤمنين في كتابه لتتجمل عند التلاوة بكل تلك الأخلاق السنية، وتتباعد عن صفات الجبابرة الطغاة، وتتشبه بمن أثنى الله عليهم ووعدهم الخير المقيم. كن أنت يا أخي في

(1) التكاثر آية ٥، ٦ .

التلاوة المأمور والمنادَى حتى تسمع كلام ربك من ربك جل جلاله، وتتلقاه من حضرة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، فإذا قال ربك : ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ ﴾ (١)، قلت لبيك وسعديك سمعا وطاعة لك يا ربى، وإذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢) انكشفت لك حقيقة نجاستها، وصارت أمامك أنتن من الجيفة،و أشد ألما من النار، وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله. أعنى اللهم على ترك ما تكره، والعمل بما تحب، فتكون كأنك تخاطب ربك ويخاطبك، ويتكلم معك وتتكلم معه، ولا تقرأه كما ترجعه الآله الحديدية، وكما ترجعه الأمكنة الخالية كصدى الصوت، فيحرم القارىء مشاهدة أنوار كتاب الله تعالى، ويكون كأنه لم يقرأه أبدا .

قال رضى الله عنه

أتوب وفى قلبى ميول عن الذنب ... و فيما مضى قد تبت يا قوم من ذنبى
عجيب أرانى إذ أميل عن الهوى ... أقارفه بعد الشبية فى الشيب
و ما الذنب إلا ظلمة فوق ظلمة ... أشد ذنوبى غفلتى عن ضيا الرب
أأجهل بعد العلم والشيب أننى ... و حق مقام الحب يا قوم فى غيب
أرى الوجه ما وليت وجهى ظاهرا ... يواجهنى بالفضل فى وجهتى صوبى
أرى خلتى القوام فى طول ليلهم ... أنا النائم الغفلان فى السهو والحجب
و لولا وثوقى أن ربى غافر ... لذبت من الخوف الشديد من الرعب
و ذنبى عظيم خالقى لم تضره ... ذنوبى وأوزارى وشكى أو ريبى

---

(1) البقرة آية ٤٣ .

(2 .) المائدة آية ٩٠

و لم ينتفع منى بذكر وشكره أنا عبده الفانى لقد خفت من ذنبى
و لكننى أرجوه جل جلاله تجلى تواب ليمنحنى قربى
بفضلك يا وهاب فاغفر كبائرى و بالفضل فارفعنى إليك بلا كسب
كبرت وشيبى عم جسمى جميعه فهب لى منك الحب فى صولة الجذب
تفضلت أوليت العوالم نعمة من البحر والأفلاك والنبت والترب
عطاياك لا تحصى وجودك وافر على فتب حتى أتوب من التوب
فإن ذنوبى والكبائر كلها و حقك لم تيئس ذليلا من الرب

التائبون وتلاوتهم للقرآن :

يستحب للتائب أن يختم القرآن فى كل أسبوع ختمتين، ختمة بالنهار وأخرى بالليل، ويجعل ختمه النهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما، وختمة الليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما، ليسقبل بختمه أول النهار وأول الليل. فإن الملائكة تصلى عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح، وتصلى عليه إن كانت نهارا حتى يمسى، فهذان الوقتان يستوعبان كلية الليل والنهار، وفى الخبر : لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث، وأمر رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ عبد الله بن عمر أن يقرأ القرآن فى كل سبع، وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن فى كل جمعة، عن يحى بن الحارث الدينارى عن القاسم بن عبد الرحمن قال : كان عثمان بن عفان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم ، ليلة الاثنين بطه إلى طسم (القصص)، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى (ص)، وليلة الأربعاء (بتنزيل) إلى (الرحمن) ويختم ليلة الخميس. وكذلك كان زيد بن ثابت، وأبى يختمان القرآن فى كل سبع،

وعن ابن مسعود أنه قرأ القرآن فى سبع ليال فكان يقرأ فى كل ليلة ســـبعه، إلا أن ترتيب مصحفه على غير ترتيب مصحفنا هذا فلم يذكره، وجماعة يذكر عنـــهم ختم القرآن فى كل يوم وليلة.

التائب يعقل أمر القرآن ونهيه :

و اعلم أنه لا يجد فهم القرآن من فيه أدنى بدعة، أو مصر على ذنب، أو عبـــد فى قلبه كبر، أو مقارف لهوى استكن فى قلبه، أو محب للدنيا، أو عبد غـــير متحقـــق بالإيمان، أو ضعيف اليقين، ولا من هو واقف عند مبناه غافل عن معناه، ولا عبـــد يتتبع حروفه وأخباره، ولا ناظر قول مفسر ساكن إلى علمه الظاهر، ولا راجع إلى معقوله، ولا قاض بمذاهب أهل العربية واللغة فى باطن الخطاب أو فى سر (ألمـــر) وغيرها من رموز القرآن الشريف، فهؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم مردودون إلى ما يقدر فى علومهم، موقوفون مع ما تقرر عى عقولهم. مزيدهم على مقدار علومهم وغرائز عقولهم، وهؤلاء مشركون بعقولهم وبعلومهم عند الموحدين، وهذا داخـــل فى الشرك الخفى – لأن العقل الكامل ما عقل عن الله عز وجل، وفهـــم حكمتـــه وكلامه، وقد قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى صفة كمال العقل " العاقل من عقل عن الله سبحانه وتعالى أمره ونهيه " وفى الخبر أكثر منافقى أمتى قراؤها. فهذا نفاق الوقوف مع سوى الله تعالى، والنظر إلى غيره، لا نفاق الشرك والإنكار لقدرة الله عز وجل، وهذا لا ينتقص من التوحيد، ولكنه ينتقص من مقام طالب المزيد .

فإذا كان العبد ملقيا السمع بين يدي مولاه، مصغيا إلى سر كلامه، شهيد القلـــب لمعانى صفات شهيده، ناظرا إلى قدرته تاركا لمعقوله، ومعهوده، علمه متبرئا مـــن حوله وقوته، معظما للمتكلم، واقفا على حضوره، مفتقراً إلى الفهم بحال مستقيم، وقلب سليم، وصفاء يقين، وقوته علم وتمكين سمع، فقه الخطاب، وشهد علم غيب

الجواب. وأفضل القراءة الترتيل لأنه يجمع بين الأمر والندب، وفيه التدبر والتذكر. عن سيدنا على كرم الله وجهه : لا خير فى عبادة لا فقه فيها، ولا فى قراءة لا تدبر فيها. وعن ابن عباس رضى الله عنهما : لأن أقرأ البقـــرة وآل عمـــران أرتلـــهما وأتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ القرأن كله هذرمة. وروى عنه أيضا ؟ لأن أقرأ إذا زلزلت، والقارعة أتدرهما، أحب إلى من أن أقرأ البقرة، وآل عمران تهدارا. وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى صلاة فكان قيامهما واحدا إلا أن أحدهما قرأ البقـــرة، والآخر قرأ القرآن كله. فقال : هما فى الأجر سواء، لأن قيامهما كـــان واحـــدا، وأفضل الترتيل والتدبر فى القرآن ما كان فى صلاة. وقال بعضهم إنى لأفتتح السورة فيوفقنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر .

قـــصائـــد

فى التوبة

للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم

قال رضى عنه :

عظـــم الـــذنب مـــن لى بالمتـــاب ... قـــد تضـــرعت ســـائل التـــواب

لى ذنوب قـــد أثقلـــتني فـــاغرفن لى ... مـــن ولى معـــط ومـــن وهـــاب

كلمـــا تبـــت عـــاودتنى ذنـــوبى ... تـــب إلهـــى علـــى حســـن إيـــابى

آه مـــــنى أتـــــوب ثم أعـــــود ... ثم أرجو غفـــر الـــذنوب الصـــعاب

أطـــتمعنى الـــذنوب فى فضـــل ربى ... كيف يأسى من بعد فقـــه الخطـــاب

(يـــا عبـــادى لا تقنطـــوا) ([1]) ... فرحتنىفى(يبدل)([3])راح بلا اكـــواب

بـــدلن ســـيدى المســـاوى بعفـــو ... و اجمعنى فضلا علـــى الأصـــحاب

إفرحـــى روحـــى بالمجيـــب ولـــيى ... فى صريح القـــرآن نـــص الكتـــاب

إنـــنى مـــؤمن وفى الـــذكر آى ... بشـــرتنى تتلـــى وفيـــه شـــراب

فى معانى (فليفرحوا هو خـــير) ([2]) ... فـــاقبلن تـــوبتى ويســـر حســـابى

و اعـــف عنـــا وعافنـــا وارزقنـــا ... يا إلهـــى الحســـنى وخـــير المتـــاب

---

[1]) يشير إلى قوله تعالى : {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ } سورة الزمر آية ٥٣1 .

[2]) يشير إلى قوله تعالى : {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} سورة يونس آية ٥٨. 2

3) يشير إلى قوله تعالى : { يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ}سورة الفرقان آية ٧٠ .

قال رضى الله عنه :

جهلت ومثلى مخطى ومعيب ... و ربى غفور كم على يتوب
نعم أنت تواب حليم وغافر ... و شأنى فى كل الذنوب عجيب
حليم صبور أنت تغفر كلما ... جنيت فتهديني إليك أنيب
نعم لم يضر الله كل كبائرى ... و لم ينفعنه مخلص محبوب
تنزه جل الله يمنح من يشا ... قبولا وعفوا وهو جل مجيب
تعاليب عن ضد ومثل لك الثنا ... لك المجد يا ذا العرش أنت رقيب
أمولاى طهرنى وأشهد لطائفى ... ليظهر لى المحبوب والمرغوب
ألح لى جمال الوجه فى كل وجهتى ... لأشهد نور الوجه وهو مهيب
أمولاى أولادى أنلنا هداية ... و خيرا به القلب الكسير يطيب
أيارب إخوانى أنلنا عناية ... ففضلك ربى بغيتى ونصيب

قال رضى الله عنه :

إلهى إلهى إن عبدك ضارع ... يريد الرضا والفضل والقلب جازع
ظلوم جهول كم أسأت وإننى ... أتيت إلى مولاى ذل وخاشع
إلهى إلهى كم عصيت وإننى ... أتيت إلى ربى بذل أسارع
و لى أمل فى الله جل جلاله ... و مولاى خير الرسل لله شافع
تقربت بالمختار لله أرتجى ... رضاه وقلبى من ذنوبى خانع
إلهى أنا المضطر أرجوك نظرة ... بأهل الصفا من هم شموس طوالع
يناديك قلبى والجوارح كلها ... نداء به يحلو الصفا والتواضع
تجل لمضطر بشاف ومنعم ... و بر وتواب فنورك ساطع
إلهى إلهى أسفر الفجر طالعا ... و عبدك جار البيت داع وخاضع

خطاياى يا مولاى تثقل كاهلى فيطمعنى فضل من الله واسع
و ما هى زلاتى وكل كبائرى إذا نسبت للعفو والله نافع
أغثنى وتب وارحم فإنى موقن بواسع إحسان لقدرى رافع
و ودا لأولادى وكل أحبتى به الخير تمنحنا ونورك لامع
فأنت غفور منعم متفضل و عبدك مضطر فقير وطامع
و حاشاك رب البيت أدعو بفاقتى و أرجع إلا والرضا يتتابع
دعوتك مضطرا إلى الفضل والرضا أنلنى الرضا والفضل كلى مسامع

قال رضى الله عنه :

من إليه تضرعى وابتهالى من إليه توجهى إقبالى
من يجيب المضطر حال اضطرار من يلبى الداعى بخير جمال
رب إنى المضطر أنت مجيب أعطنى الخير واستجب لى سؤالى
وسعن لى العطا وهب لى إلهى واسع الخير منك جمل مآلى
و اشفنى سيدى فإنى سقيم بالحبيب المختار والأبدال

قال رضى الله عنه :

إن كان ذنبى عظيما فعفو ربى أعظم
أو كان إثمى كبيرا فالله ربى أرحم
كم أسبل الستر منه على كم لى أكرم
و كم رآنى مسيا فتاب عنى وأنعم
أراه يعطى العطايا فضلا و لم أك أعلم
يبدل السوء فضلا منه بحسنى فأسلم

أســـــبغ جميـــــل العطايـــــا لمـــــن بعفـــــوك مغـــــرم
و اجعـــــل عطايـــــاك ربى للعبـــــد نعمـــــى ومغـــــنم
و انظمـــــه فى عقـــــد قـــــوم عـــــن كـــــل غـــــير صـــــوم

قال رضى الله عنه :

خطاياى لم تحجب لسانى ولا قلـبى لأن ذنوبى أيقطـتنى مـن الحجـب
بها القلب منكسر خشـوعا وذلـة بها صح إقبالى بها صـح لى جـذبى
أنا العبد خطـاء مسـى ومـذنب و أنت عفو غـافر الـذنب يـاربى
و فى شهر رمضان عطاياك سـيدى بها الفضل والإحسان فى مشهد القرب
إلى حضرة التواب بالـذنب سـيدى أتيت كسير القلب من فادح الكرب
ولى شيمة ظلمى لنفسـى وغفلـتى و شيمتك الإحسان يا عالم الغيـب
و من سافلين النأى كـل حقـائقى بفضلك حملـها بقربـك والحـب
و تلك ليالى الفضل والعفو والرضـا و عبدك سـأل بحبـك والصـحب
ولى حسن ظن فى المغيث لمـن دعـا به عقد توحيدى يقينا بـلا شـوب
تبتلـت فى ليـل الاجابـة ضـارعا من النار فاعتقنى بعفـوك والتـوب
و من على العبـد الظلـوم بتوبـة يدوم بها الإقبال بالفضـل مـن ربى
بأسمائك الحسنى بـذاتك فى العمـا غيوبك فى طلسم كـترك فى صـوبى
إلهـى إلهـى مـذنب ومقصـر ظلوم جهول فى ضلال وفى صـعب
يناديـك مضـطرا أغـثنى برحمـة تبدل ظلمـى بـالتقرب والشـرب
إلهـى إلهـى أنـت بـر ومـنعم عفو غفور راحـم قابـل التـوب
أعنى أتـب أقبـل علـى بوسـعة و بى أقبلن حـتى أجمـل بـالقرب
أنا الطامع الراجى ومـولاى قـادر أنلنى الرضا والفضل فالآى قد تـنبى

ذنوبى لم تيـــئس عبيـــدك ســـيدى لأنك تواب وقـــد طمأنـــت قلـــبى
و قد كبرت سنى وشـــبت كبـــائرى وشابت نعم رأسى ونفسى فى حرب
حنانيك يا تـــواب عطفـــا ورحمـــة و ودا به أحيا بطيبة فى حمى (حب)
بوجهـــك واجهـــنى إلهـــى تتزلـــن وصل على خير النبـــيين والصـــحب

الـدرس الثانــى

العبادة والعابدون

العبادة

تعريف العبادة :

العبادة اعتقاد عند أهل التسليم، وشهود عند أهل الكشف أن للمعبود سبحانه قوة غيبية فوق الأسباب يقدر بها النفع والضر، مع غاية الحب، ونهاية الذل والخضوع – ففى اللغة التعبد الخضوع والتذلل – فمن أحببته ولم تكون ذليلا خاضعا له لم تكن عابدا له. ومن خضعت له ولم تكن محبا لم تكن عابدا له حتى تكون محبا ذليلا خاضعا. والمنكرون محبة العباد لربهم منكرون حقيقة العبادة، فإن العابد الحق فى نهاية الحب وغاية الذل والخضوع لمن يعبد، وفى كمال الاعتقاد أن له قوة غيبية فوق الأسباب الظاهرة، يقدر بها على النفع والضر .

ومن أنكر أن الله محبوب للعباد بل إنه غاية بغيتهم، ووجهه العلى نهاية مقصدهم، فقد أنكر أنه إله يعبد إذ العبادة كما قررنا نهاية الحب، وغاية الذل، ومن لا حب له لا عبادة له، والخاضع الذليل بلا حب ليس بعابد، والعاشق بلا خضوع واعتقاد ليس بعابد. إذاً فالعابد بلغ نهاية المحبة لله، وغاية الخضوع والذلة لجنابه، واعتقد بقوته الغيبية، وسلطته القهرمانية التى هى فوق الأسباب، فيكون بتلك المعانى كلها عابدا، وبترك معنى منها ليس بعابد.

إن العباد حقا المتحققون بكمال الحب لله، الحب الذى حقر فى أعينهم الكونين، وأنساهم ما سوى الله، فذكروه كثيرا، وتلذذوا بكمال الذل لعظمته، وكمال الخشوع لعزته، لذلك فإنه سبحانه وتعالى قدم قوله : (إياك نعبد) على قوله : (إياك نستعين)، لأن العبادة غاية المقصد، والاستعانة وسائل لها، والمقاصد تقدم على

الوسائل للتعظيم، ثم ذكر اسمه قبل " نعبد " بقوله : " إياك " إشارة إلى أن العابد لا يكون عابدا إذا لم يكن محق الحب من قلبه كل غير. وسلب الذل لله كل من سواه.

العبادة الخالصة :

لا تعبد لتنال أجرا فتكون عبد الأجر. ولا لتنال قربا فتكون عبد القرب ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ*وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾(1)ونزه سرك من الرغبة فى غير ربك، وهاجر من أفق روحك حتى لا تخيزك الآفاق، ولا تحيط بك الأرجاء، ولا تحجبك الأجوأ ولو أشرفت على القدس الأعلى. فإن القدس حجاب القدوس، والنور برزخ بين المتمكن وبين ربه، فاحفظ البرزخ عبودية وتجاوزه تألها إلى ربك، ولا تعظم ما تقربه إلى الله ولو قربت نفسك التى بين جنبيك، فإنك لو علمت لمن تتقرب، وبما تتقرب لعلمت مقدار النعمة عليك بما تقربه، ولرأيت مقعد صدق دون مرادك إذا حفظت مرتبتك. وكيف يأنس من فارق المكان فى الدنيا بمكان فى الآخرة إذا حجبه عن مكون الأكوان. ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (2) .

العبادة رعاية الأدب مع الله تعالى :

ليس من علم الشريعة فعمل بها مراعيا حفظ الأحكام، وصحة الرواية، وكمال التشبه فى التقليد فقط، بعامل من عمال الله، بل العامل لله سبحانه وتعالى قبل أن يعمل العمل يجب أن يلاحظ أنه يعمل ليرضى ربه، ليؤدى حقه سبحانه، وليطيع

---

(1) الزمر آية ١١،١٢ .

(2 .) الأنعام آية ١٦٢

أمره، وليست طاعة الأمر وحدها موجبة للرضى، ولتأدية الحقوق. فعامل بعلمه غير محافظ على رعاية الأدب مع الله تعالى ليحقق نفسه بمشاهد التوحيد التي يقوم بها لحق ربه حتى يتقيه حق تقاته، وتمكنه في رعاية توحيد الله تعالى. ولا يكون ذلك إلا تحقق بوحدة الأفعال، مع إثبات وجوده العبدي، ليشهد الحضرتين فيشهد عبدا عابدا، ويشهد ربا منفرداً بالإيجاد، والإمداد، وذلك هو قيامه بالحق الذى هو لله تعالى، ومن حجب عن شهود هذا المشهد وحصل أمثال الجبال من العلم، وملأ بطاح الأرض وصفاح السماء عملا لا يقبله الله تعالى، لأن الله تعالى لا يقبل عملا به الشرك الخفى، فكيف يقبل عمل من اعتقد أنه هو الفاعل، وأنه يعمل لربه بنفسه.

العبادة أساس خلق الكون كله :

العبادة هو المقصد الأسمى للخلق أجمعين، التي لأجلها خلق العرش والكرسى،و الإنس والجن، والملائكة قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ (1) فالمتهاون بالعبادة متهاون بالمقصود الأعظم، والمتساهل فيها متساهل بالحكمة التي لأجلها خلق. وكل عابد لله متحقق بمعونة الله،و ليس كل مستعين بالله متحققا بعبادة الله، لأن العبد قد يستعين بالله فيما ليس بعبادة.

و إذا تقرر ذلك فالعبادة كلمة جامعة لأنواع الخير كله. إذا العابد محب لله، خاضع لله،عامل بأحكام الله، محافظ على سنة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ قائم بتأدية جميع شعب الإيمان، من بر وصلة وعفو وإحسان وإكرام وتواضع وتوبة وإنابة ويقين وتوكل وتفويض وغير ذلك من المعاني التي يحبها الله. ولذلك فإن الله سبحانه

---

(1) الذاريات آيتي ٥٦، ٥٧ .

وتعالى عند ثنائه ومدحه لطائفة من عباده يصفهم بالعباد، وهم الملائكة قال عنهم ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ (١)، وعند ثنائه على عباده من الإنس بما جملهم به من الصفات قال ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ (٢)، وقال : ﴿ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (٣) وقال : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ ﴾ (٤)، ﴿ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ (٥).

العبادة أكمل أعمال القلوب والجوارح :

العبادة فى الحقيقة هى أكمل أعمال القلوب والحوارح معا، لأن المحبة والذل والاعتقاد والمشاهدة فيها من أعمال القلوب، والحركات البدنية من صلاة وزكاة وصيام

و حج ونطق بالتوحيد ومسارعة إلى الخير من أعمال الجوارح، فالعبادة مع كونها المقصد الأعلى فى الحقيقة، ونفس الأمر هى حقيقة الشكر على سوابغ نعمائه وعميم آلائه، قال تعالى : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (٦)، فجعل سبحانه وتعالى الشكر عملا، وجعل الشاكرين قليلين، فالعابدون على التحقيق قليلون.

---

(1) الأنبياء آية ٢٦ .

(2) الفرقان آية ٦٣ .

(3) الأنبياء آية ٧٣ .

(4) الزمر آية ٥٣ .

(5) الزمر آية ١٦ .

(6) سبأ آية ١٣ .

العبادة روح الأعمال :

ليست العبادة مجرد أعمال تؤدى بحركات وسكنات، أو تكاليف يقوم بها العابد فى آيات مخصوصة، ولحظات معدودة، فإن تلك الأعمال ليست هى المقصودة بالذات، بل المقصود روحها وسرها وحكمتها، قال الله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ (١)، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾ (٢)، و قال عز من قائل : ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) وقال جلت قدرته : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ (٤)، فالمصلى المشاهد روح الصلاة لا يقع فى فحشاء ولامنكر،و الصائم التارك ملاذة وشهواته، المتألم بالجوع والعطش، هو خير ولذة بما يتألم به غيره. وباذل الأموال مع كونها خرجت من ملكه، ونقصت من ماله، تزكت نفسه بها وتطهرت.

العبادة مقام المحبوبين :

فلمشاهدى روح العبادة مشرب طهور لا يمازحه شيء لكمال توحيدهم الخالص من الشوب. فإن أكثر العمال يشوب إخلاصهم فى أعمالهم كدر بعض البواعث على العمل، كالرغبة فى الجنة، ونيل الملاذ الباقية، ولكن العباد المخلصين صفت

---

(1) الحج آية ٣٧ .

(2) العنكبوت آية ٤٥ .

(3) البقرة آ]ة ١٨٤ .

(4 .) التوبة آية ١٠٣

سريرتهم من شوب الشرك الخفى والأخفى، فسقاهم ربهم شرابا طهورا صافيا، مما يكون مزاجا لشراب غيرهم يطيب بقطرة منه شراب غيرهم قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (1)، فبين سبحانه وتعالى أن شراب الأبرار يناول لهم فى كأس، وهذا الشراب ممزوج بطهور العين الذى هو خالص شراب عباد الله المخلصين فى توحيده فهذه العين التى يفجرها عباد الله تفجيرا إنما تجلى لسرهم من حقيقة التوحيد بالتوحيد، حتى تراءت لهم أنوار معنى الصفات والأسماء بسر اتحاد التوحيد عن تنزل المزيد، فهم مع خالص توحيدهم تتراءى لهم معانى الأسماء والصفات، بمعانى واحد وأنوار أحد، وهذا الذى جعل العباد فى مقامات المحبوبين لله تعالى، لمحبتهم له سبحانه وتعالى.

أركان العبادة :

للعبادة ركنان : علم وعمل، وحقهما أن يتلازما، لأن العلم كالأس، والعمل كالبناء، وكما لا يغنى أس ما لم يكن بناء ولا يثبت ما لم يكن أس، كذلك لا يغنى علم يغير عمل، ولا عمل بغير علم. ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ والْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ (2). والعلم أشرفهما لكنه لا يغنى بغير عمل، ولشرفه قال رجل للنبى ﴿ ﷺ وآله﴾ أيما الأعمال أفضل يا رسول الله ؟ فقال : العلم. فأعاد عليه السؤال فقال العلم. فقال الرجل فى الثالثة : أسألك عن العمل لا عن العلم. فقال عليه الصلاة والسلام :

---

1) الإنسان آية ٦ .

2 .) فاطر آية ١٠

" عمل قليل مع العلم خير من عمل كثيرمع الجهل " وقال عليه الصلاة والسلام : " طلب العلم فريضة عن كل مسلم ".

فالعلم ضربان. نظرى وعملى. فالنظرى. ما إذا علم كفى و لم يحتج فيه بعده إلى عمل .

كمعرفة وحدانية الله تعالى، ومعرفة ملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ومعرفة السموات والأرض، وماأشبه ذلك. والعملى. ما إذا علم لم يغن حتى يعمل به، كمعرفة الصلاة، والزكاة، والجهاد، والصوم، والحج، وبر الوالدين.

أنواع الأعمال فى العبادة :

و الأعمال ثلاثة أضرب : عمل يختص بالقلب، وعمل يختص بالبدن، وعمل يشترك فيه البدن والقلب. والعلم إذا نظر إليه من حيث تحصيله فاكتسابه عمل، وإذا نظر إليه وقد اكتسب وتصور فى القلب خرج فى تلك الحال عن أن يكون عملا .

أحوال الإنسان فى العلم :

و للإنسان فى استفادة العلم وإفادته ثلاثة أحوال : استفادة فقط، وحال استفادة ممن فوقه، وإفادة لمن دونه، وحال إفادة فقط.

و يجب على الإنسان أن يستفيد فى جميع أدوار حياته، ففوق كل ذى علم عليم. فقد نبه تعالى على الحاجة إلى الاستفادة بما حكاه من قول سيدنا موسى عليه السلام لصاحبه ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (1)،

1) الكهف آية ٦٦ .

وانظر إلى قصة الهدهد مع سيدنا بقوله : ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ (1) فالإنسان يفتقر إلى التعلم من الصغير فى بعض العلوم، والواجب على الإنسان أن يكون مستفيداً. أو مفيداً قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " الناس عالم ومتعلم وما سواهما همج" .

مراتب العلم :

العلم يهتف بالعمل ... فاعمل تنل كل الأمل
بالعلم يخشى الله من ... كل عليم قد وصل
العلم كشف الحجب ... ممن سر الحقائق في الأزل
علم يقين بعده ... عين اليقين بلا وجل
من بعده حق جلى ... حق اليقين لمن عقل
من بعد ذا فوق المقام ... كبرى الولاية فاتصل
وصل هو الفصل الذى ... يجلى الضياء لمن نهل
من بعد ذلك حظوة ... للفرد تجلى للبطل
مجلى كمال باطن ... عن كل جهد أو أمل
نور خفى غيب جلى ... للفرد فى التفريد حل

أقسام العبادة :

تنقسم العبادة إلى قسمين : واجب ومندوب .

---

1 .) النمل آية ٢٢

١ – فالواجب يقال له العدل، والمندوب يقال له الإحسان وهما المذكروان فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾ (١) فالفرض أو العدل تحرى الإنسان ما إذا عمله أثيب، وإذا تركه عوقب.

– والندب أو الإحسان تحرى الإنسان ما إذا عمله أثيب،و إذا تركه لم يعاقب. والإنصاف من العدل، والتفضل من البر والإحسان. فالإنصاف هو مقابلة الخير بالخير، والشر بالشر، بما يوازيه. والتفضل والبر مقابله الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه.

فالإحسان والتفضل إحتياط فى العدالة. والإنصاف ليأمن به من وقوع خلل فيه. وذلك

أنك إذا زدت فى إعطاء ما عليك، ونقصت فى أخذ مالك، فقد احتطت وأخذت بالعزم،كدفع زيادة زكاة إلى الفقير وترك ما أحل لك من مال اليتيم. فالعدالة إن كانت جميلة فالتفضل أحسن منها، وكذلك قال تعالى فيمن استوفى حقه فتحرى العدالة : ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ (٢) وقال عن الإحسان : ﴿ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (٣)، وقال : ﴿ وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٤) إشارة إلى أن الإحسان والتفضل أحسن : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى ﴾ (٥). فالإنسان إنما يكون محسنا متفضلا بعد أن يكون عادلا منصفا. فأما من ترك ما يلزمه، ثم تحرى مالا يلزمه فإنه لا يقال له متفضل.

---

1) النحل آية ٩٠ .

2) الشورى آية ٤١ .

3) البقرة آية ٢٣٧ .

4) النساء آية ٢٣٧ .

5) يونس آية ٢٦ .

ولا يجوز تعاطى التفضل إلا لمن كان مستوفيا وموفيا لنفسه. أما الحاكم المستوفى والموفى لغيره فليس له إلا تحرى العدالة والنصفه.

حكمة العبادة :

للعبادة حكم كثيرة لا تحصى، منها تطهير النفس، وجلب صحتها لم يكلف الله الناس عبادته لينتفع هو تعالى بها انتفاع المولى لا ستعباد عبيده، واستخدام خدمه، فإن الله غنى عن العالمين. ولا ليؤدبهم قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (1)، بل كلفهم سبحانه وتعالى ليزيل أنجاسهم، وأمراضهم النفسية لينالوا بفضله ورحمته حياة أبدية، وسلامة باقية .

لقد وهب الله الإنسان القوى اللازمة لتحصيل الفضائل فى إبتداء حياته، فمن لم يحصل لنفسه تلك الفضائل فى وقت التحصيل ضعفت القوى عن التحصيل، وفاته الخير فلا يمكنه بعد الفوات قبول ذلك، مثل الفحم إذا صار رمادا فلا يقبل بعد ذلك ناراً، فمن استمر فى كفره وفسقه وتمادى فيه صار إما ميتا، أو مريضاً، أو أصم لا يقبل الشفاء، ولذلك قال الله تعالى فى مثل هؤلاء : ﴿إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ﴾ (2)، وقال تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾ (3) وقال عز وجل : ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (4)،

---

1)البقرة آية ١٨٥ .

2) النمل آيتى ٨٠، ٨١ .

3) البقرة آية ١٧١ .

4) . محمد آية ٢٠

وقال تعالى :﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾(١)، وقال تعالى فى المؤمنين : ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ (٢) وقال : فيهم : ﴿ أُوْلِي الأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٣) .

فمن استفاد بالحياة والصحة والطهارة قبل أن تخبو عنه هذه القوى صار حيا سميعا بصيرا طاهرا، تزود بخير الزاد كما أمره تعالى بقوله : وتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الـــزَّادِ التَّقْوَى﴾ (٤)، واهتدى بالدليل الموصوف فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ (٥)، وأتمر بقول الله تعالى ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ (٦)، واقتدى بالموصوفين بقولـــه تعالى : ﴿أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (٧) فجدير أن يفلح فينال السعادة كما قال الله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٨).

ومن حكم العبادات شكر المنعم سبحانه على ما أنعم، فإن النفس إذا تطهرت من نجاساتها وزالت عنها أمراضها. أهلت لأن تكون مرآة مصقولة لنقش حقيقة العلم فيها، فتنكشف لها حقيقتة التى بانكشافها لها تنبلج أنوار الحق، فتعلم علما نســـبيا بعض المواهب المنعم المفاضة فضلا من الله التى لا تحصى عدا، ولا تستقصى حدا،

---

1) . التوبة آية ٢٨

2) . يس آية ٧٠

3) .ص آية ٤٥

4) البقرة آية ١٩٧ .

5) الشورى آية ٥٣ .

6) آل عمران آية ١٣٣ .

7) المؤمنون آية ٦١ .

8) . النور آية ٣١

ثم تكاشف بما أعده الله للإنسان من النعم التى لا تتصورها الخيالات من شهود الجمال الإلهى، والتنعم بالنعيم الأبدى، ودوام بهجة لا تزول، فتكون العبادة بعد تلك التزكية شكرا لمنعم متفضل، ومسارعة إلى نيل رضوانه الأكبر، وفضله العظيم، ونعمته الحقيقية، قال الله

تعالى :﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾ ([1])،و قال سبحانه :﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ([2])، ([2])، فتكون العبادة جامعة لمعانى الكمالات كلها، فهى تزكية للنفوس، وشكر لمنعم متفضل وهاب، ومسارعة إلى نيل الخير الحقيقى، والنعيم الأبدى، والرضوان الأكبر. وهناك حكمة علية أخرى يشهدها أهل المعرفة بالله لا يمكن أن يصرح بها إلا بالإشارة .

العبادة عمل جليل جدا تبتهج بها النفوس الزكية ونسبة شريفة تفتخر بها الأرواح الطاهرة، ومشهد لا يوصف جماله ولا كماله، تسارع إليه إلا رواح الملكية، ومواجهة لملك عظيم كبير متعال، ومثول بين يدى واحد أحد، فرد صمد، منعم متفضل، رزاق كريم .

الأمراض التى لا يمكن إزالتها إلا بالعبادة :

يصاب الإنسان بأمراض نفسانية لا يمكن أن تزول عنه إلا بعبادة كالجهل والشره، والعجلة والشح، والظلم، قال تعالى : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ([3])، ثم أمره أن يزيل العجلة من نفسه فقال : ﴿ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ ﴾

---

1 .) سبأ آية ١٣

2 .)آل عمران آية ١٣٣

3) الأنبياء آية ٣٧

([1])، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ([2]) ثم أمره بالعلم والعدل فى غير موضع من كتابه، قال تعالى : ﴿ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ ﴾ ([3])، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ([4])، وأمره باتقاء الشح بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ ([5])،و وصفه بالكفور، والقتور، فى قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ ([6])، وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾ ([7])، فالتقتير شىء غريزى موجود فى الإ،سان، وليس بشىء طارىء عليه : ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ([8])، ثم نهى عن أكثر الجدل، فالإنسان يحتاج أن يستعمل هذه القوى فى حياته الدنيا، كما يجب، ووقت ما يجب، وبقدر ما يجب، وأن يميط عنه ما يضر ولا ينفع قبل خروجه من الدنيا حسب ما ودرت به الشريعة، فإنه إن لم يتطهر من هذه النجاسات و لم يزل عنه أمارض نفشه، لم يجد سبيلا إلى نعيم الآخرة، بل ولاإلى طيب الحياة الدنيا .

---

1) الأنبياء آية ٣٧ .

2) الأحزاب آية ٧٢ .

3) النساء آية ١٣٨ .

4)الحشر آية ٩ .

5 .) المعارج آية ١٩، ٢٠، ٢١

6) الشورى آية ٤٨ .

7) الأسراء آية ١٠٠ .

8) الكهف آية ٥٤ .

بالعبادة طهرة القلب :

فالمتطهر ترفع عن قلبه الغشاوة فيعلم الحق حقا، والباطل باطلا، فلا يشغله إلا ما يعينه، ولا يتناول إلا ما يعينه، فيحى حياة طيبة كما قال تعالى :﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (1) ولا يصير ما حصله فى الدنيا وبالاعليه وعذابا كما قال تعالى واصفا الكفار : ﴿ فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (2) والمتطهر يصبح قلبه قلبه محل السكينة والأرواح الطيبة، كما وصف الله المؤمنين بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (3) و يعرف الطيق التى بها التوصل إلى جنة المأوى، ومصاحبة الملأ الأعلى فى مقعد صدق عندمليك مقتدر، فيسارع فى الخير، ويسابق إلى مغفرة من ربه وجنة عرضها السمواتو الأرض .

بدون العبادة تبقى النجاسات :

و متى بقيت وتزايدت صار قلبه الشر والآثام، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (4)، فلا يجد سبيلا إلى سعادة الدار الآخرة كما قال تعالى : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ

---

1) النحل آية ٩٧ .

2) التوبة آية ٨٥ .

3) الفتح آية ٤ .

4) الشعراء آية ٢٢١، ٢٢٢ .

أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ (١) فنبه على أنه لا يصلح لجنيه ما لم تتطهر ذاته عن أشياء هى مخلوقة فيها، وعلى هذا دل قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ (٢)، فالواجب على الإنسان أن يراعى هذه القوى فيصلحها ويستعملها على الوجه الملطوب، حتى يكون كمن وصفهم الله فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

حكمة وجود النوزاع فى الإنسان :

و قد يقع للإنسان شبه فى امر هذه النجاسات فيقول : أترى ذلك من عند غير الله ؟ فإن كان من غيره فأين مصدره ؟ وإن كان منه فما معنى وجوده فى الإنسان ؟ مع أمره بأن يزيله. ؟ فأقول. ما من شيء أوجده الله إلا وفيه حكمة ومنفعة، وإن يعرف ذلك الإنسان. لكن من الأشياء ما نفعه فى وقت مخصوص، أو إذا كان على قدر مخصوص، ثم إذا استغنى عنه أو زاد على قدر ما يحتاج إليه، يجب أن يزال، والشواهد على ذلك كثيرة، أنظر إلى حبل السرة بعد ولادة الطفل فقد كان ذلك الحبل طريق الغذاء للطفل ولكن بعد الولادة لا يحتاج إليه، ويجب أن يزال حتى لا يموت الطفل، وكذلك الشعر، والظفر، يحتاج إليهما، ولكن يجب ألا يزيدا عن حد مخصوص .

---

1) المعارج آيتى ٣٨، ٣٩ .

2) آل عمران آية ١٧٩ .

3 .) النحل آية ٣٢

الفضيلة وسط بين رذيلتين :

قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ([1]) فالبخل رذيلة من الرذائل، وهو حبس المال عن إنفاقه فى الأوجه المشروعة له، والإسراف رذيلة كذلك، وهو صرف المال بغير ضابط ولغير الأوجه المطلوبة والله يريد من العبد أن يكون وسطا فى كل شىء قال تعالى :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ([2])، فلا يسرف ولا يقتر على نفسه .

إصلاح قوى الإنسان :

و معلوم أن التقوى : قوة الشهوة، وقوة الحمية، وقوة الفكر يجب تهذيبها، فتهذيب قوة الشهوة تنتج العفة، فتحصل للإنسان مناعة من الشره، ويحترى المصلحة فى المأكول والملبوس والمشروب والمنكوح، وطلب الراحة وغير ذلك من اللذات الحسية، وبإصلاح قوة الحمية تحصل الشجاعة، فيتحرر من الجبن، والتهور، والحسد، ويتحرى الاقتصاد فى الخوف، والغضب، والأنفة، وغير ذلك. وبإصلاح قوة الفكر تحصل الحكمة حتى يحترز من البله والخبث، ويتحرى الاقتصاد فى تدبير الأمور الدنيوية، وبإصلاح هذه القوى يحصل الإنسان على قوة العدالة، فيقتدى برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى تزكية نفسه، وحسن معاملته لغيره، فنفس الإنسان معادية له كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ ([3])، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك " فمن أدبها أو قمعها أمن ظلمها دليل قوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ

---

1 .) الإسراء آية ٢٩

2) البقرة آية ١٤٣ .

3) يوسف آية ٥٣ .

ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ ([1])، أى لا يخاف أن تظلمه نفسه الشهوانية. فالأعمال الصالحة حصن منها، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ﴾ ([2])، فإذا أقام المسلم الصلاة إقامة تجعله عالما بمعنى ما يعمل متيقنا نسبته فى عمله، وكمالاته الحقيقية عند مواجته فى الصلاة التى هى أضداد صفات الحق، شهد بعين سره نور مواجهة إله عظيم كبير معبود على موفق هاد، فينجذب بالكلية إلى التخلق بتلك الأخلاق الربانية، والتجمل بالحظوة لتلك الجلوة العلية، ويقوى اشتياقه إلى دوام مواجهة هذا النور المشرق الذى هو قرة عين العارفين، وسر قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " وجعلت قرة عيني فى الصلاة " وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " أبردوا بالصلاة " .

و من لم تزك نفسه لا تصح له تلك المواجهة، فيقف فى الصلاة بجسمه وقلبه يتقلب فى طمع أوشح أو هوى، لم يكن ذلك لأن الله تعالى محجوب عن سره، بل لأن سره محجوب عن مواجهة الحق، ونفسه مسجونة فى نجاستها ولقسها ودنسها، والأولى للمسلم أن يسارع إلى أهل الله الذين تزكو بصحبتهمنفسه، ويزول بحبهم لبسه، حتى تشرق عليه أنوار القربات،و تصح له أسرار المواجهات، وأكمل المواجهات هى عند إقامة الصلاة.

متى تتحقق صفة العبادة :

إن إثبات صفة العبادة الحقة لا يتحقق للعبد إلا بمعنين لابد منهما وبدونهما لا يكون العابد عابدا إلا عند نفسه وهما :

شهود أنه عبد له وجود بالله تعالى، وعليه حقوق لله سبحانه وتعالى .

و شود المنة عليه بتوفيق الله له، وبالقيام بما افترضه عليه.

---

1) طه آية ١١٢ .

2) العنكبوت آية ٤٥ .

و ما ندبه إليه حتى يكون عبدا عاملا بمقتضى العبودية، موحدا منزها الحق جل جلاله عن الشرك فى وحدة الأفعال، فإن جهل حقيقته فى وجود بالله تعالى، وعبد الله ألف سنة غير مشاهد منة الله علية، ونعمته العظمى الواصلة إليه بتوفيقه بما كلفه به، وطلبه منه، كان عمله ممزوجا بالشرك، محجوبا عن مكاشفة أنوار التوحيد. فإذا وقف العابد المشاهد فى صلاة استحضر أنه عبد مكلف، وشهد منة الله عليه بالتوفيق والمعونة، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وواجه بسره وروحه وقلبه قدس الجبروت الأعلى، وبجسمه بيت الله الحرام، فكان جامعا فارقا. وما عمل عملا من القربات. إلا وهو على هذا الكمال الذى كان عليه أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، ممن بلغ بهم الكشف مبلغا لا يبلغه أحد بعدهم من العابدين، فإنهم رضى الله عنهم وأرضاهم كان أصغرهم فى جمع الجمع مع فرق الفرق فى آن واحد، والحقيقة أنه لا جمع إلا بعلم لدنى، ولا علم لدنى إلا بعلم شرعى يكون العامل فيه عاملا عن علم بالأحكام وفهم للحكمة سر قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ :(من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) وإنما الجمع الذى يعنيه رضى الله عنه هو ذوق أسرار التوحيد بعد استحضار معانى الصفات والأسماء، ثم مشاهدة آيات الواحد سبحانه دالة على أنه القادر، الحكيم، الظاهر، الباطن، المريد، الفاعل، المختار.

حقيقة التعصب للدين والعبادة :

ليس التعصب للدين بالإ،كار على الفرد المتهاون بحالة تنفر، ولا بالتشنيع على المتساهلين بأساليب تبغضهم. غنما التعصب للدين حقيقة أن تتعصب لدينك أولا على نفسك لتجملها، فتقوم عاملا بحقيقة أحكامه حتى يسهل عليك أن تعمل ما كان يصعب عليك، ثم تجاهد إخوانك كمجاهدتك لنفسك، فإذا آنست من نفسك وإخواتك العمل بكتاب الله، وسنة رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ وجب عليك أن

تنبه قلوب إخواتك إلى كمالات الدين بعملك ابتغاء مرضاة الله، وبقولك الحكمة مع المحافظة على كل ما أوجبه الشرع من العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق، ومع الوهد فيما لا حاجة لك إليه، وطلب مالا بد لك منه من وجوهه الشرعية، وبذل مالا يضرك بذله لأهل الحاجة، حتى تكون إماما تعمل وتقول، سر قوله تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾([1]).

أوصاف الداعى إلى الله :

و معنى ذلك أن الذين يأمرون بالمعروف لابد أن يكونوا على أكمل الأوصاف المرضية شرعا، من الغيرة على الدين، والعمل بالقلب والجوارح واللسان، فإذا تكون فى المجتمع الإسلامى من تفضل الله عليهم بمواهب التعصب للدين، أشرقت أنوارهم على جميع المجتمع، فتكونت فيهم عصبية للدين لا يخافون الموت،و يخشون الفوت، يرون الحق أولى بهم من أنفسهم، وأعز عليهم من أوراحهم، وأنه الخير الحقيقى المقصود لذاته، وكل خير تدعو إليه النفس لم يكن بالحق، وللحق يرونه شرا وهلاكا، عندئذ يترل الله السكينة عليهم، ويثيبهم فتحا قريبا، قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي ﴾ ([2]). بين الله تعالى بهذه الآية الشريفة أن جميع الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالجسد الواحد، كل واحد منهم ككل عضو من الجسد، لأنه أخبر سبحانه بما أعده للجميع من الاستخلاف فى الأرض، وتمكين

---

1) آل عمران آية ١٠٤ .

2 .) النور آية ٥٥

الدين لهم، فجعل هذا الفضل كالخير الذى يمنحه الواحد لأولاده الذين هم فى رتبة واحدة من النسب، بل هذا النسب الإلهى هو النسب حقا الذى به نيل الخير فى الدنيا، مجدا وعلوا فى الأرض بالحق، والفوز بفردوس الله الأعلى يوم القيامة، وكفى بنسب الإسلام شرفا أن ننال به مالا عين رأت، ولا أذن ولا خطر على قلب بشر.

أقسام العبادة

العبادة تنقسم إلى خمسة، وهى المقصودة فى الحديث الشريف : " بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا " .

أولا : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله

العقيدة التى يجب أن يعقد المسلم قلبه عليها :

معلوم أن العقيدة هى عقد القلب على علم بمعلوم عقادا قويا مؤكدا، وفى ذلك الإشارة أن المسلم يجب عليه أن يكون علمه التوحيد عن يقين، وتمكين، لأن الموقن حقا بالتوحيد هو الذى يسمى مسلما حقا، لقيامه بشعائر الإسلام عن وجد وشهود. والعقيدة الإسلامية هى تصديق القلب بحقيقة ما عليه الأمر فى ذاته فى نفس الأمر، وطريق ذلك خبر الصادق الأمين، بعد أن يكون المتلقى صحيح الجسم، كامل العقل، سريع الفهم، قوى الفكر، معافا منأمراض الحظ وعمى الهوى، وبذلك يكون مؤمنا حقا قائما بما أوجبه الشرع، عاملا من عمال الله، خليفة من خلفاء ربنا سبحانه وتعالى، وبدون تلك الشروط لا يبلغ المسلم الكمالات إلا بقدر ما تجمل به من تلك الشروط التى هى كالالات والأدوات

لكشف أسرار الدين، وفك رموزه، فإن المعانى الألهية من الكمـــالات الربانيـــة،و الجمالات، لا يدركها العقل من حيث إ،ه عقل إلا بقدر ما يتضح له من الـــدلائل وأكثر الدلائل معان قائمة بمبان مقيدة، بأدوات وآلآت وكيفيات تتفاوت العقول فى إدراك خواصها، فضلا عن غوامض أسرارها، وكيف لا والإنسان منذ ســـيدنا آدم عليه السلام وهو يجول بعقله فى ميدان الآثار يرفع الخلف رأس السلف حـــتى عصرنا هذا، لا تزال خواص الكائنات تنكشف شيئا فشـــيئا للعقـــول، وتظهـــر مكنوناتها مدهشة للمفكرين، محيرة للمتأملين، ولا عجب فإن القادر البديع الحكيم خلق الكون وسخره للإنسان، قال

تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (1)، وأمد الإنسان بالعقل، وجعل له السلطان على الآثار لتظهر حكمة التسخير، ولو نظـــر الناظر إلى ما اكتشفه الإنسان من خواص النباتات، والجمادات، والمعادن، لمعالجـــة المرضى، وما استخدمه بما وهبه الله من قوة العقل من البخار، والكهربـــاء، ومـــا اخترعه من أ،واع الصناعات الغريبة، والفنون العجيبة، التى كلها إما لراحة الإ،سان وخيره، أو براحة فئة وشقاء آخرين. فالأول كعلم الطب، والعمارت، والتربيـــة، وعلوم الحكمة العملية. والثانى كفنون السياسات، وتدبير الممالك، واخترع الآلات الجهنمية لقهر بنى الإ،سان، ومع هذا كله فلا تزال الآثار كنوز لم تفك رموزهـــا، وخزائن خيرات لم تفتح أبوابها، ورياض أفكار لم تفتق أكمامها، وهى بما فيها من الخواص معارج لمن سبقت لهم الحسنى، ومدارج لمن سبقت لهم السوءى .

فالإنسان منذ سيدنا آدم عليه السلام إلى عصرنا هذا مع ما بلغه من الفنون والصناعات، عاجز عن الحيطة بخواص المادة مما أودعه المنعم المتفضل النافع المعطى

---

1 .) الجاثية آية ١٣

الوهاب من فضله فى الآثار، ووهب لبنى الإ،سان القوى التى تنكشف الستار عنها للنفع
العام، هذا هو أفق العقل. فإذا انكشف للعقل هذا الأفق فصار مبينا، يوقن أن لهذه الآثار مبدعا حكيما، يصوره بقدر ما أدرك من هذه الآثار، لا بقدر ما يليق بالجناب العلى المقدس .

التسليم والإيمان شرك فى كمال الإسلام :

و يكون الإنسان مسلما كامل الإسلام إلا إذا شهد بنور التسليم الإيمان، لا بعيون العقل والإمكان آيات القادر الحكيم، مشرقة أنوارها فى تلك المبانى، دالة على كمال التريه، والعلو، والتقديس، والكبرياء، لذات الواحد الحد سبحانه وتعالى، تتريها وتقديسا يليقان بجناب الكبير المتعال، الذى لا تدركه سبحانه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، ولا تحوم حوالى عزته وجلاله أنوار عيون الروحانين، ولا بصائر أولى العزم المكرمين : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ([1])، وإذا يمكن للعقول وإن كملت، ولا للنفوس وإن تزكت، أن تبلغ درجة الإيمان الكامل إلا بخبر الصادق ﴿ ﷺ وآله﴾، والتسليم لحضرته المحمدية صلوت الله وسلامه عليه، وبشيء آخر لابد منه وهو النور الذى جعله الله تعالى فى القلب، فضلا وكرما المعبر عنه بالعقل الموهوب، فإن العبارات لا تفى الكنالات الإلهية، بل ولا بالكمالات المحمدية، إلا بمشاهدة بنور الإيمان، وتسليم حق وفقه للبيان .

---

1) الزمر آية ٦٧

كل إنسان مؤهل معرفة تحصل بها النجاة :

و لو أن كل فرد من بنى الإنسان وهبت له تلك المواهب، لما اختلف اثنان فى الحق، ولكن الحكمة الألهية اقتضت أن تطالب الإنسان بمعرفة الله بقدر ما لو قصر عنه الإنسان لهلك، لإن أصغر مؤهل لأن يعترف الحق سبحانه معرفة تحصل بها النجاة من الهول، والسلامة من المقت والسخط، وتتفاوت بعد ذلك مقلمات أهل الخصوصيات فى هذا المجد العلى، والخير الحقيقى، فمن الأفراد الخصوصين من يهب له الله مواهب يبلغ مكاشفة المقربين، حتى لا يقع بصره إلا على وجه الله العظيم، ولا يسر به وطر إلا إلى الجناب المقدس، ولا تلك به لمة إلا ملكوتية. هذا النور هو الفضل العظيم الذى يجعله الله للعبد، به يكشف أسرار هى الآن غيبا، وكانت شهودا قبل، وهى تجلى الرب سبحانه وتعالى يوم (ألست) وأخذه العهود على الإ،سان بعد الاعتراف بالتوحيد، والإقرار لله سبحانه بالربوبية، فإن تلك الحضرة لا يشهدها العقل، وإنما تشهد بعيون الإيمان، وبنور التسليم الذى يجعله الله فى قلب العبد، ولا شك أن ما ظهر عن تلك الآثار من الآيات الجلية إنما هى إشارات لكمالات المبدع الحكيم القادر، ومراء تمثل للقلوب السليمة كالمثل الذى يضرب لتقريب الحقيقة، وإيضاحها بقدر ما قال تعالى : ﴿ وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (1)، وق وله سبحانه وتعالى :﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ (2) .

---

1) إبراهيم آية ٢٥

2) النور آية ٣٥ .

من لم يجعل الله له نورا فما له من نور :

فكل إنسان لم يجعل له الله النور تسترت عنه الآيات، وحجبت عنه البينات، وصار ضالا فى فيافى الحظوظ والأهواء وعاملا مجدا لفوز لحظه العاجل، ولذاته الفانيـــة، لأنه لم تنكشف له آيات الحق الدالة على كمال قدرته، وعجائب حكمته، وجميل إيجاده وإمداده، وما أعده من الكالات والنعيم الأبدى لمن اهتدى بهـــدى ســـيدنا ومولانا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾، فيكون

الذى حرمه الله من هذا النور كالأنعام بل هو أضل سبيلا.

مل تلك المقدمات رى أنها لابد منها، ولولا أن هذا المختصر لا يسع البيان كل البيان لاستوفيت الموضوع، وقد شرحت بعض أسرار من الآيات المنبلجـــة فى الآثار فى كتاب معارج المقربين، وجملا من الكمالات المقامات التى ينالها الإنســـان بحسن الإقتداء برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى كتاب أصول الوصول لمعية الرســـول، وأشرت إلى شىء من وجوه التفكر فى السموات والأرض وما فيهن، بيان يجعـــل القارىء يشهد من أسرار الآيات ما يجعله فى مزيد من الإيمان، وكمال الإقبال على الله سبحانه وتعالى المنعم بكل تلك النعم فى كتاب النور المبين لعلوم اليقين، فاكتفى هنا بما بينته.

الطريق الموصل للخير الحقيقى :

و يحسن أن أقول أن العقل لا يعقل بإدراك تلك الأسرار، ولا يمكنه أن يبلغ مبلغـــا بالإنسان يجعله مع الذين أنعم الله عليهم مـــن النبـــيين والصـــديقين والشـــهداء والصالحين، بل ولا يقتدر أن يجعل الإنسان سعيدا فى مجتمع مدنى سعادة معقولـــة، يعم خيرها أفراد بنى الإ،سان، فإن له منطقة خاصة به لا يتعداها، وإن كان هـــو الآله لكل الخير، فإنما يجول فى مادة موجودة ليخترع ما يلائمه، أو يستنتج منـــها

نتائج معنوية تدل عليها بطريق التزام، مما قد يخطىء فيه أو يصيب، فلم يبق طريق يبلغ به الإنسان الحقيقة والخير الحقيقى فى الدنيا والآخرة إلا خبر الصادق، الـــذى يقيم الحجة للعقل أنه صادق حقا، فيسلم له ويستسلم. لديها يفوز بكل خير عاجل وآجل، ولايمكن أن تتلقى العقيدة التى بها النجاة إلا من هذا الطريق، وقد سرحت جملا فى كتاب أصول الوصول، ولكن لابد أن أبين ما الحاجة ماسة إليه، حـــتى لا يخلو هذا المختصر من أصل الأصول فأقول وبالله التوفيق .

أساس العقيدة :

العقيدة المأخوذة من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ مأخذها كتـــاب الله تعالى، وبيان رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، وما قرره بعد ذلك أئمة الهدى رضوان الله عليهم، وقام بتدوينه أهل العلم المخلصون خدمة للأصل الأول مـــن أصـــول الدين، الذى هو رأس المال لكل مسلم، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ (1)، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِـــن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (2) .

و قوله جل شأنه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُـــنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (3)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: " من مات لا يشرك بالله شـــيئا دخـــل الجنة "و قال ﴿ ﷺ وآله﴾ :" من مات لا يشرك بالله شيئا حرمه الله على النار ".

وقد أجمع المسلمون جميعا عليها، إلا ما اختلف فيه، والخلاف بينـــهم رضـــى الله عنهم فى أمر جزيئة اقتضتها مقامتهم من العلم بالله تعالى، وكلهم خائفون من الله

---

1 .) النساء آية ٤٨

2) الأنبياء آية ٢٥ .

3) الزخرف آية ٩ .

سبحانه وتعالى. ومارتب الخوف متفاوته، فالسلف الصالح رضوان الله عليهم خافوا وسلموا علم ما ورد مما يقف العقل دون إدراكه إلى الله تعالى، إجلالا لكلام الله تعالى الذى هو صفة من صفاته، والخلف خافوا فتأولوا ما ورد للوسعة فى ذلك إجلالا للجناب المقدس أن تتصوره العقول، (وإنما الأعمال بالنيات)، وكلهم مؤمنون بذلوا وسعهم فى خدمة العلم، وتقرير الحق والله واسع عليم .

و إنى أحب الكل، وأسأل الله تعالى أن يتقبل أعمالهم بقول حسن، وأن يغفر لى ولهم وأحب أن كل مسلم يتعلم ويعمل، فإذا تعلم وعمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، وهذه هى العقيدة.

ثانيا : إقام الصلاة

الصلاة عماد الدين، وأساسه،و شكر المنعم المتجدد على عميم نعماءه المتكرر فى كل يوم جديد، قال تعالى :﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾ ([1])، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " الصلاة عماد الدين " وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ ([2])، وقد اختار الله تعالى الذين مع حبيبه محمد ﴿ ﷺ وآله﴾، واختار لهم الصلاة فقال : ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ ([3])، وقد أخبر الله تعالى عن المؤمنين على التحقيق أنهم يقيمون الصلاة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ﴾ ([4]) وعنه ﴿ ﷺ وآله﴾ قيل : أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : " الصلاة لوقتها " وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " بين العبد وبين الكفر ترك

---

1) طه آية ١٤ .

2) النساء آية ١٠٣ .

3) الفتح آية ٢٩ .

4) الأنفال آية ٢،٣ .

الصلاة " فمن ضيع الصلاة فهو لغيرها من الدين أضيع، واعلم أنك فى صلاتك تناجى ربك فانظر كيف تصلى، وحافظ فيها على ثلاث أمور لتكون من جملة المحافظين وهى :

(١) إقامتها (٢) المحافظة عليها . (٣) المحافظة على الطهارة .

فإن الله تعالى إنما يأمر بالإقامة، ويقول سبحانه أقم الصلاة، ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ ﴾ (١) و لم يقل سبحانه صل، أو صلوا، ويثنى سبحانه على المحافظيم على الصلاة فيقول : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٢).

و المحافظة تكون أولا بالمحافظة على الطهارة، قال تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ واللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (٣)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " لا يقبل الله صلاة بغير طهور " وقال عليه الصلاة والسلام : " الطهور نصف الإيمان " وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " مفتاح الصلاة الطهور " فالمحافظة على الطهارة بأن يسبغ الوضوء قبل الصلاة، بأن يأتى بجميع سننه وأذكاره المروية عند كل وظيفة منه، ويحتاط أيضا فى طهارة ثيابه، وطهارة بدنه، وطهارة الماء الذى يتوضأ به، احتياطا لا يفتح عليه باب الوسواس، فإن الشيطان يوسوس فى الطهارة فيضيع أكثر أوقات العبادة .

المقصود من الطهارة :

و اعلم أن المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارجى، ثم من طهارة البدن وهو القشر القريب، ثم من طهارة اللقلب وهو اللب الباطن، طهارة القلب من

---

1) البقرة آية ٤٣ .

2) الأنعام آية ٩٢ .

3 .) التوبة آية ١٠٨

نجاسات الأخلاق المذمومة. ولا يبعد أن يكون للطهارة الظاهرة أيضا تأثير فى إشراق أنوارها على القلب، فإنك إذا أسبغت الوضوء، واستشعرت نظافة ظاهرك، صادفت فى قلبك انشراحا وصفاء ما كنت تجده من قبل، وذلك للعلاقة بين عالم الشهادة وعالم الملكوت، فإن ظاهر البدن من عالم الشهادة، والقلب من عالم الملكوت بأصل فطرته. إنما هبوطه إلى عالم الشهادة كالغريب عن أهله. وكما تنحدر من معارف القلب آثار إلى الجوارح، فكذلك يرتفع من أحوال الجوارح أنوار إلى القلب وبذلك أمرنا الله تعالى بالصلاة مه أنها حركات الجوارح التى هى من عالم الشهادة، وجعلها رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى الدنيا ومن الدنيا، وقال " حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء، والطيب، وجعلت قرة عينى فى الصلاة " فلا يبعد أن يفاض من طهارة الظاهر أثر على الباطن، فإن كنت لا تصادف بعد الطهارة وإسباغ الوضوء شيئا من الصفاء، فالعم أن الدرن الذى عرض على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها أرمد عين القلب فصارت لا تشهد باللطائف، والأشياء الخفية اللطيفة، ولم يبق فى قوته إلا إدراك الجليات إن بقى فاشتغل بجلاء قلبك، وتصفيته، فذلك أوجب عليك من كل ما أنت فيه .

المحافظة على الصلاة :

و هى أن تحافظ على سنن الصلاة، وأعمالها الظاهرة، وأذكارها، وتسبيحاتها، حتى تأتى فيها بجميع السنن والآداب والهيئات، فإن لكل واحد منها سرا، وله تأثير فى القلب كما نبهنا عليه فى تأثير الطهارة بل أشد وأبلغ، وشرح ذلك يطول وأنت إذا أتيت بذلك انتفعت به، وإن تعلم أسراره، كما ينتفع شارب الدواء بشربه، وإن لم يعرف طبائع أخلاطه ووجوه مناسبته لمرضه.

صورة الصلاة :

و اعلم أن الصلاة صورة رب الأرباب كما صور الحيوان مثلا، فروحها النية والإخلاص وحضور القلب وبدنها وأعضاؤها الأصلية الأركان، وأعضاؤها. مجرى البدن، والركوع والسجود يجريان مجرى الرأس واليد والرجل. وإكمال الركوع والسجود والطمأنينة وتحسين الهيئة تجرى مجرى حسن الأعضاء، وحسن أشكالها وألوانها والأذكار والتسبيحات المودعة فيها تجرى لآت الحس المودعة فى الرأس، والأعضاء كالعينين والأذنين وغيرهما. ومعرفة معانى الأذكار وحضور القلب، عندها يجرى مجرى الحس المودع فى آلات الحس كقوة وقوة البصر، والشمو لبذوق واللمس.

الغفلة فى الصلاة :

و اعلم أن تقربك بالصلاة كتقرب بعض خدم السلطان باهداء وصيفة إلى السلطان، واعلم أن فقد النية والإخلاص من الصلاة كفقد الروح من الوصيفة والمهدى للجيفة الميتة متسهزىء بالسلطان، فيستحق سفك الدم لغفلة قلبه عن عظمته، وفقد الركوع والسجود يجرى مجرى فقد الأعضاء، وفقد الأذكار يجرى مجرى فقد العينين من الوصيفة، وجدع الأنف والأذنين، وعدم حضور القلب، فى غفلته عن معانى القرآن، والأذكار، كفقد السمع والبصر، مع بقاء جرم الحدقة والأذن، ولا يخفى عليك أن من أهدى وصيفة بهذه الصفات كيف يكون حاله عند السلطان ؟ هذا مثال العبد لعبد مثله، فكيف بمن يتقرر إلى خالقه ومبدعة المواجه لجماله العلى، وعزته وعظمته، كيف يقف أمامه ويغفل عن عظمته، اللهم أعذنا من الغفلة خصوصا عند القيام بعمل ما أمرت به، إنك مجيب الدعاء .

الصلاة الناقصة :

واعلم أن أقول الفقيه فى الصلاة الناقصة أفلاظها وسننها إنها صحيحة كقول الطيب فى الوصيفة المقطوعة أطرافها أنها حية، وليست بحية فإن كان ذلك كافيا فى التقرب بها إلى السلطان ونيل الكرامة منه، فاعلم أن الصلاة الناقصة صالحة أيضا للتقرب بها إلى الله سبحانه، ونيل الكرامة، وإن أوشك أن يرد ذلك على المهدى ويزجر، فلا يبعد مثل ذلك فى الصلاة، فإنها قد ترد على المصلى كالخرقة المخلقة كما ورد فى الخبر من قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا ". واعلم أن أصل الصلاة التعظيم والاحترام، وإهمال آداب الصلاة يناقض التعظيم والاحترام .

الإخلاص فى الصلاة من المحافظة عليها :

و من المحافظة على الصلاة أن تحافظ على روح الصلاة وهى الإخلاص وحضور القلب فى جملة الصلاة، واتصاف القلب فى الحال بمعانيها، فلا تسجد ولا تركع إلا وقلبك خاشع متواضع على موافقة ظاهرك، فإن المراد خضوع القلب لا خضوع البدن، ولا تقول الله أكبر وفى قلبك شيء أكبر من الله تعالى، ولا تقول وجهت وجهى إلا وقلبك متوجه بكل وجهه إلى الله، معرض عن غيره سبحانه، ولا تقول الحمد لله إلا وقلبك عامر بشكر نعمة عليك، فرح ومستبشر، ولا تقول : (وإياك نستعين) إلا وأنت مستشعر ضعفك، وعجزك وأنه ليس لك ولا لغيرك من الأمر شيء، وكذلك فى جميع الأذكار والأعمال، وشرح ذلك يطول، وقد شرحناه فيما سبق، فجاهد نفسك فى أن ترد قلبك إلى الصلاة حتى لا تغفل من أولها إلى آخرها إن استطعت، فإنه لا يكتب للرجل من صلاته إلا ما عقل منها .

جوابر الغفلة فى الصلاة :

فإن تعذر عليك أن تكون حاضر القلب، وما أراك إلا كذلك فانظر، فإن كان على قدر الغفلة مقدار ركعتين فلا تعد الصلاة، ولكن افهم أن النوافل جوابر للفرائض، فتنفل بمقدار أن يحضر القلب فيها فى مقدار ركعتين، فكلما زادت الغفلة فزد فى النوافل حتى يحضر قلبك. العشرة ركعات بمقدار أربع ركعات، وهو قدر فرضك فمن رحمة الله تعالى عليك أن قبل منك حبران الفرائض بالنوافل، فهذه أصول المحافظة على الصلاة، وقد بينت ميزان الخواطر فى الصلاة فى كتاب أصول الوصول فليرجع إليه مريد المحافظة على الصلوات. قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (١) .

و ما من عمل من أعمال القربات كلها إلا ومشاهده لاتخلو من شوب إلا الصلاة لأهل الخشوع والمعرفة، فإن مشاهدها العلية ترفع الحجاب عن المرتبتين، حتى تحصل المواجهة بالمكانتين، فيكون المصلة مجملا بأكمل حلل العبد الخاشع الخانع، والله سبحانه مواجها له بمعانى الجمال الألهى حتى يكون فى كل تكبيرة مشاهدا، وفى قراءة كل كلمة من كلمات الذكر الحكيم مكاشفا بمعناها، سامعا بالسمع الذى منحه الله كلام الله من الله، ويكون فى كل ركوع وسجود فارا إلى الله من نفسه ومن كل كائن، وبقدر فراره إلى الله يكون قربه منه، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ (٢) .

---

1 .) المؤمنون آية ٩

2 .) العلق آية ١٩

رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله :

و إ،ما يقيم الصلاة من شهد معانى مكانته، شهودا يجعله يذكر ربه، قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ (1). وقد أثنى الله تعالى على المصلين ثناء جعل الأرواح الملكية تغبط المصلين الذين أثنى الله تعالى عليهم، قال : ﴿ رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (2). ولما كانت التجارة والبيع لفظين عامين قد يراد بهما تجارة وبيع الدنيا، أو تجارة وبيع الآخرة، فإن العابد الذى يعبد الله لنعيم الجنة تاجر، والمؤمن الخالص الذى يبيع نفسه لله وماله لله بائع، والرجلالذى يخرج فى الأسواق بسلعته بائع، والذى يخرج بلا سلعة ليتوسط بين الناس وينتفع فى الآسواق تاجر .

و المؤمن الكامل لا تلهيه تجارة الدنيا والآخرة، ولا بيع نفسه لله أو بيع سلعته لغيره للربح عن ذكر الله بمعناه الحقيقى الذى به تقام الصلاة. وإقامة الصلاة التى تكون عن الذكر كشف الستار عن حقيقتك، ورفع الحجاب عن الجمال والجلال والكمال الإلهى، بقدر ما وهل الله للعبد من عيون الكشف اللائق بعبد ممنوح، لا بقدر الجناب المقدس تنزه ونعالى، قال تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (3)، وإنما هو قبس من لوامع جمال الفيض الأقدس، وبوارق لوامع جلال الكمال المقدس، قال سبحانه : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (4)، هذا نذر مما يواجه به العبد المؤمن فى صلاته من مقامات القرب، ومشاهد الحب أما ما يعطه العبد

---

1) طه آية ١٤ .

2) النور آيتى ٣٧، ٣٨ .

3) الزمر آية ٦٧ .

4) الصافات آية ١٦٤ .

المصلى من أسرار المراقبة بصلاته فإنه شهود نعيم ملكوتى، فتكون تلك المشاهد منتجه للفرار من المخالفات والبعد عن المعاصى، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (1)، فذكر الله تعالى فى الصلاة الذى هو إقامتها أكبر، لأنه يحصل به الشهود الأكبر للمصلى الذى ينتج عنه الرضوان الأكبر، وقد فصلت جملا من البيان فى معاملة المصلين الذين يقيمون الصلاة فى كتاب معارج المقربين فمن أحب المزيد فليراجعه .

أسرار الصلاة :

و هناك أسرار وأحوال وأ،وار تمنح فضلا للقلوب، لا ترسم بالعبارة، ولا تبين بالكتابة، تجعل مقيم الصلاة على قلب رسل الله السابقين صلوات الله وسلامه عليهم، فينال كل مقيم للصلاة قسطا وارفا من مقام رسول من رسل الله صلوات الله عليهم. فقد يكون على قلب سيدنا عيسى عليه السلام، أو على قلب سيدنا موسى عليه السلام، أو على قلب سيدنا الخليل الأكبر ﴿ ﷺ وآله﴾ كل ذلك فضل الله يتفضل به على من وفقه، وإقامه بين يديه، لم يقمه سبحانه إلا لمحبوب مراد، فقد يجتمع فى المسلمين عشرات من الملايين على قلوب الرسل صلوات الله عليهم، ويجمع الله لهم أسرار الرسل، وأنوارهم، وأحوالهم، فيقيمهم الله تعالى مقام رسله، دعاة إليه .

منهم من يمنحه لسان العبارة فيجذب القلوب بأنوار أقواله، ويسكر النفوس بسحر بيانه، ومنهم من يزوده الله بالكرامات من مشكاة الأنوار، التى هى سر معجزات من هو على قلبه،كل ذلك لأن الإسلام هو دين الله حقا، وأن الله تعالى يهب للعاملين بوصاياه أنوار الرسل السابقين جميعهم، وكم ترى فى المسلمين فى كل

1 .) العنكبوت آية ٤٥

زمان كثيرين يكرمهم الله بشفاء المرضى، وإبراء الزمنى، وإحياء القلوب الميتة، وتنويع الأفكار بالحال أو بالمقال أو بالدعاء، وبعضهم يفنى عن مراده بمراد الحق، وعما سوى الحق، حتى يظهره الله سبحانه نورا لخلقه، فقد يقهره حاله فيقول للشيء كن فيكون، إحياء للسنة، وإقامة لمحبة الله على خلقه وهذا يستحيل أن يوجد لأهل الأديان الأخرى، لأنهم ليسوا على الحق، ولو أراد الله هدايتهم لشرح صدورهم للإسلام، ولكن الله يضل من يشاء، ويهدى من يشاء.

و قد اتضح الحق جليا، وقامت حجة الله على الخلق أجمعين، وليس لأحد من الخلق على الله حجة، والله تعالى أسأل أن يمنحنى وإخوتى جميعا الإخلاص لذاته العلية، والصدق فى المعاملة، والحب الخالص لجنابه العلى، والرضاء الكامل عنه سبحانه، والتوفيق لما يحب ويرضى، أنه على كل شيء قدير .

ثالثا : إيتاء الزكاة

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء ﴾ (1)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء " معلوم أن إنفاق المال فى الخيرات أحد أركان الدين، ومعلوم أن المال محبوب الخلق، وهم مأمورون بحب الله عز وجل، ويدعون الحب بنفس الإيمان، فجعل بذل المال معيارا لحبهم، وامتحانا لصدقهم فى دعواهم، فإن المحبوبات كلها تبذل لأجل المحبوب إلا ما غلب حبه على القلب، فانقسم الخلق فيه على قدر مراتبهم.

---

1) البقرة آية ٢٦١ .

فمنهم الأقوياء وهم الذين انفقوا جميع ما ملكوا، و لم يدخروا لأنفسم شيئا، فهؤلاء صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الحب، كما فعل سيدنا أبو بكر الصديق إذ جاء بماله كله، فقال له ﴿ ﷺ وآله﴾ : ماذا أبقيت لنفسك، فقال : الله ورسوله وقال لسيدنا عمر رضى الله عنه :

ماذا أبقيت لنفسك، قال : مثله أى مثل ما أتيت به فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " بينكما مثل ما بين كلمتيكما "، ومنهم المتوسطون وهم الذين لم يقدروا على إخلاء اليد عن المال دفعة واحدة، ولكن أمسكوه لا للتنعم بل للإنفاق عند ظهور محتاج إليه، فهم يقنعون فى حق أنفسهم بما يقويهم على العبادة، وإذا عرض محتاج بادروا إلى سد حاجته، و لم يقتصروا على قدر الواجب من الزكاة، وإنما غرضهم الأظهر فى الإمساك ترصد الحاجات. ومنهم الضعفاء وهم المقتصرون على أداء الزكاة الواجبة، فلا يزيدون عنها ولا ينقصون منها، فهذه درجاتهم وبذل كل واحد منهم على مقدار حبه لله، ومن لا يقدر إلا على أداء الواجب فليجتهد حتى يزيد على الواجب، ولو شيئا يسيرا فإن مجرد الواجب حد الخبلاء، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ﴾ (1)، فجاهد نفسك يا أخى حتى لا ينقضى عليك وقت لا تتصدق فيه بشيء وراء الواجب ولو بكسرة خبز، لترتفع بذلك عن درجة البخلاء، فإن لم تملك شيئا فليست الصدقة كلها فى المال، لكن كل كلمة طيبة وشفاعة ومعونة فى حاجة، وعيادة مريض، وتشييع جنازة، وكل ما تقدر عليه من جاه ونفس وكلام لتطيب قلب مسلم يكتب لك صدقة وحافظ على زكاتك وصلاتك وصدقتك على خمسة أمور :

---

1) محمد آية ٣٧ .

الأمور التى يجب المحافظة عليها فى الزكاة :

الأول : الإسرار : جاء فى الخبر أن صدقة السر تطفىء غضب الرب والذى يتصدق بيمينه بحيث لا تعلم شماله هو أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (1). وبذلك تتخلص من الرياء، فإنه إذا غلب النفس تهلك، وينقلب فى القلب إذا وضع الإنسان فى قبره إلى صورة حية، أى يؤلم إيلام الحية، والبخل ينقلب فى صورة عقرب .

و المقصود من الإنفاق الخلاص من رذيلة البخل، فإذا امتزاج بالرياء كان كأنه جعل العقرب غذاء الحية، فما تخلص من العقرب ولكن زاد فى قوة الحية، إذ كل صفة من الصفات المهلكات فى القلب إنما غذاؤها وقوتها فى إجابتها إلى مقتضاها .

الثانى : أن تحذر من المن : وحقيقته أن ترى نفسك محسنا إلى الفقير، متفضلا عليه. و علامته أن تتوقع منه شكرا أو تستنكر تقصيره فى حقك، ومماألأته لعدوك استنكار يزيد على ما كان قبل الصدقة. فذلك على أنك رأيت لنفسك عليه فضلا. وعلاجه أن تعرف أنه هو المحسن إليك بقبول حق الله منك، فإن من أسرار الزكاة تطهير القلب، وتزكيتة عن رذيلة البخل، وخبث الشح، ولذلك كانت الزكاة مطهرة، إذ بها حصلت الطهارة، فكأنها غسالة نجاسة، ولذلك ترفع رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾ وأهل بيته عن أخذ الزكاة، وقال عليه الصلاة والسلام : " إنها أوساخ أموال الناس " وإذا أخذ الفقير منك ما هو طهره لك فله الفضل عليك، أرأيت لو كان فصادا فصدك مجانا، وأخرج من باطنك الدم الذى تخشى ضرره فى الحياة الدنيا أكان الفضل لك أم له ؟ فالذى يخرج من باطنك رذيلة البخل وضررها فى الحياة الدنيا والآخرة أولى بأن تراه متفضلا.

---

1 .) البقرة آية ٢٧١

الثالث : أن تخرجه من أطيب أموالك وأجودها قال الله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ (1)، وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (2)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " إن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب " يعنى الحلال فإن المقصود من هذا إظهار درجة الحب. والإنسان يؤثر الأحب إليه، والأنفس دون الأخر .

الرابع : أن تعطى بوجه مستبشر وأنت به فرحان غير مستكره. قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ (سبق درهم مائة ألف)إنما أراد ما يعطيه عن بشاشة وطيب نفس، من أنفس ماله، وأجوده، فذلك أفضل من مائة ألف مع الكراهة .

الخامس : أن تتخير لصدقتك محلا تزكو به الصدقة. وهو التقى العالم الذى يستعين بها على طاعة الله عز وجل وتقواه أو الصالح الفقير ذو الرحم، فإن لم تجتمع هذه الأوصاف فتزكو الصدقة بآحادها أيضا .

رعاية الصلاح أصل فى العبادة :

و رعاية الصلاح أصل الأمور، فما الدنيا إلا مطية للعباد وزاد لميعادهم، فلينصرف عنها المسافرون إلى الله، وليتخذوها مترلا من مازل الطريق إليه قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى " هذا الركن الذى هو الزكاة هو العبادة المالية الصادقة، و لم تكن الزكاة بهذا التفصيل فى أنواع الأموال والمستحقين فريضة على ما أعلم فى غير ديننا، وذلك لأن الإسلام جعل كل فرد من المسلمين لكل فرد ككل عضو من الجسد لكل عضو، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " مثل المسلمين فى تعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى

---

1) النحل آية ٦٢ .

2) البقرة آية ٢٦٧ .

منه عضو اشتكى كله " وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ([1])، فجعل لنا سبحانه الأرض مسجدا وترابها طهورا، وأحل لنا الغنائم، وجعل الزكاة من

كل أنواع الأموال، وعمم النفع بها لأنواع من الناس حتى ظهر سر قوله الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء ﴾([2]).

من رموز الزكاة وأسرارها :

من كلام الله سبحانه وكلام رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ يظهر لنا مكانة كل مسلم من المجتمع الإسلامى، ومكانة كل فرد من المسلمين من كل فرد من المسلمين، ومن فتح الله قفل قلبه ففقه سر فريضة الزكاة يعلم حق العلم أن العمل فى الدنيا عمل الله تعالى، وقيام بفرض عليه لإخوانه المسلمين، وإليك كشف شيء من رموز الزكاة .

(سر أول) الله سبحانه وتعالى يبين لنا أن المجتمع الإسلامى عائلة واحده، يدلى نسبهم إلى أب واحد هو رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وأزواجه رضى الله عنهن أمهاتهم، وكما تجب النفقة على الغنى للفقير من والديه إذا عاقه عن العمل مرض ظاهر، أو فساد فى قوة العقل، فكذلك يجب على الغنى أن ينفق على أخيه فى النسب الإسلامى بقدر ما أمره الله سبحانه وتعالى، فيكون الغنى يبر والده الأعظم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ فى ابنه الذى هو أخوه المسلم، قال ﴿ ﷺ وآله﴾:

---

1) الحج آية ٧٨ .

2) آل عمران آية ١٣٤

(أدخل الإسلام بلالا فى نسبى وأخرج الكفر أبا لهب من نسبى) وقال ﷺ وآله﴾ : " سلمان منا أهل البيت " فالمسلمون أبناء رجل واحد هو رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ والغنى من المسلمين هو أخ الفقير وكتره وخزينته، فلا يرضى أن يجوع أخوه وهو شبعان، لأن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين ، فإن الغنى ، فإن الفتى عارية، فلعله يأتي عليه يوم وهو فقير يتمنى أن يعينه إخوامه، وما كان يتمنى الفقير منه المعونة .

" سر ثان " أن تأدية الزكاة تلقى المحبة فى قلوب الفقراء، فينال منهم عواطف تلك القلوب المتوجهة إلى علام الغيوب، ومقبول دعاء تلك الألسنة المبتهلة إلى الله تعالى، وحب تلك النفوس التى ترى أنك يا أخى بإعطائك الزكاة إياهم نجيتهم من آلام الجوع، والعرى، فيكون الفقراء لك زينة فى الرخاء، ودروعا وسيوفا فى الشدة .

" سر ثالث " : أنك يا أخى إذا أخرجت الزكاة طيبة بها نفسك، وعلمت أن هذا العمل فرض عليك، اعتقدت أن المال لله يتصرف فيه كيف يشاء، فتكون وفيت بالبيع الذى بعته لله بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ ﴾ (1)، وتكون بنص تلك الآية الشريفة ممن بشرهم الله تعالى بالجنة.

" سر رابع " : بإخراجك الزكاة طيبة بها نفسك، تعيش مطمئن القلب من خوف مصيبة أو بلية، صحيح البدن من خوف ألم أو مرض، وذلك لأنك بإخراجك الزكاة يحصل لك إنسراح صدر لاعتقادك أنك طهرت مالك، وحصنت نفسك بتأدية الزكاة، من يؤد الزكاة على الوجه الذى أمره الله شاعرا بالرحمة بالفقراء والعطف على المساكين، فلا شك أنه يكون رحمانيا لا يظلم الناس لا فى بيع ولا

1 .) التوبة آية ١١١

شراء، ولا يسيء جارا له، ولا يقطع ذى رحم، ولا يعق والديه، ولا يسعى فى سوء أو فساد بين الناس .

من غوامض أسرار الزكاة :

للزكاة أسرار غامضة يشهدها من أقامة الرب سبحانه خليفة عنه، حتى يكون المشاهد فى إخراج الزكاة خليفة عن ربه فى الإعطاء، عبدا مطيعا لمولاه، وعاملا مخلصا من عمال الله، وعبدا مسكينا فقيرا وهبه الله خيرا مواهبه، وواجهه بأكمل مواجهاته العلية، وتلك الأسرار لا تفى بها عبارة المعبرين، ولكنها نعمة من الله تعالى سر قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾ (1) وقوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم " والعارف إذا أشار للمريد السالك كانت الإشارة أفصح من العبارة له، قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " المؤمن يكفيه قليل الحكمة " وهناك نوع أخر من أنواع الزكاة وهى تزكية النفس، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ (2)، وقال سبحانه :﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (3)، وقال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ (4).

تزكية النفس أصل الأصول :

تزكية النفس فى الحقيقة الأصل الذى تؤسس عليه الأصول، وتقوم به الفروع، ومن جاهد نفسه وهواه فى ذات الله بلغ غاية مناه، ومن أهمل تزكية نفسه

---

1 .) البقرة آية ٢٨٢

2) المؤمنون آية ٤ .

3) الأعلى آية ١٤، ١٥ .

4) الشمس آيات ٧، ٨، ٩ .

كان كالحيوان الأعجم، وإن عمل كل القربات فهو إنما يقلد غيره كالقرده والنسانيس، ما دام لم يجتهد فى صفاء جوهر نفسه، وتطهيرها من نجاستها، ومن زكى نفسه عرفها، ومن عرف نفسه عرف ربه، وقد فصلت طرق تزكية النفس وتصفية جوهرها وعلاجها من أمراضها لإعادة الصحة إليها، والمعدات التى تحفظ الصحة عليها فى مختصرى هذا فى باب الغرض من العبادة، وفى كتاب معارج المقربين فى قسم علوم النفس، وفى كتاب شراب الأرواح إلى آخره، فأكتفى فى هذا المختصر بتنبيه أخى إلى العناية بتزكية نفسه، حتى يمكنه أن يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويحج البيت،و يصوم رمضان، ويقوم لله فى كل ما أوجبه عليه، مشاهدا أسرار حكمة أحكامه، وغوامض ما تعبدنا سبحانه وتعالى به، والله أسأل أن يمنحنا الفقه والحكمة، والمعونة على طاعته وشكره، وذكره، وإنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رابعا : صوم رمضان

الصيام : الفريضة التى هى ترك فى الحقيقة، وهو العمل الروحانى الـــذى يصير الإنسان فيه كالملائكة الروحانين، لترك ضروريات الحياة الجسمانية، ولوازم النفس الحيوانية، وهو رمز يشير إلى أن الإنسان حيوان ومللك، فهو بقوته الحيوانية يعمل أعمال البهائم، وبقوته الملكية يعرف الله ويعبده، ويتشبه بســـكان ملكوتـــه الأعلى، فيترك لوازم قواه الحيوانية بالصوم، ليتذكر قوته الملكية، ولتطهر نفسه من كثافة التوسع فى الأعمال الحيوانية، فإن النفس يقوى طمعها وميلها إلى الحـــرص والأمل والحماقة والخيانة وبغض بنى نوعه كلما توسعت فى كل مايقوى الحيوانية، ويكون بذلك بعيدا عن رتبة الإنسان قريبا من الأنعام، لتشبهه بها، فإذا قلل مـــن ضروريات حياته الحيوانية وتشبه بحياته الملكية من الصوم والنفقـــة كـــان أشـــبه بالملائكة منه بالحيوان، وكان الصيام تزكية لنفسه، وشفاء لها من أمراضها، وصفاء لجوهرها حتى تتكمل بكمالها الحقيقى الذى تكون به فى مقعد صدق عند مليـــك مقتدر تخدمها الملائكة .

الصوم تجمل بجمال الروحانين :

فالصوم عبادة من حيث أنه فرض فرضه الله، وشفاء من حيث أنه يـــرد للـــنفس صحتها، وتزكية من حيث أنه جلاء للنفس من التطرف عن الجادة الوسطى الـــتى هى الفضيلة، وبه تتجمل النفس بالرحمة والصلة والبر والإحسان والتواضع، فيكون الصائم عبدا عاملا لله بتركه ما نهاه الله عنه من الأكل والشرب، وملامسة النساء، مما أباحه الله له فى غير رمضان، فيكون متجملا بجمـــال الروحـــانين، ومتخلقـــا بأخلاق الله من الرحمة والعفة والإحسان والود والشفقة، ومجاهدا نفســـه فى ذات الله بحبسها عن شهواتها، فيكون له بإطاعة الأمر النعيم المقيم، وبالتشبه بالروحانيين

مشاهدة ملكوت الله ونعيم النظر إلى وجهه سبحانه، فما أيسر ما ترك، وما أعظم ما نال، وقد شرحت أركان الصوم وسننه، وآداب الصائمين، وتتزيه سر الصائم فى كتاب أصول الوصول، ومعارج المقربين، ولكن رغبة فى الخير لأخى ودنى الله وإياه بفضله العظيم ورحمته أحببت أن أبين له مزيداً فى مختصرى هذا .

قال رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ : يقول الله سبحانه : " كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ". وقال عليه الصلاة والسلام : " لكل شيء باب وباب العبادة الصوم " .

خصوصية الصوم :

و إنما كان الصوم مخصوصا لأنه عملان عظيمان .

الأول : كف النفس وهو عمل سرى لا يطلع عليه أحد غير الله تعالى لا كالصلاة والزكاة وغيرهما.

الثانى : أنه قهر لعدو الله فإن الشيطان هو العدو، ولن يقوى العدو إلا بواسطة الشهوات. والجوع يكبح جماح الشهوات التى هى آلة الشيطان، فلذلك قال عليه الصلاة والسلام : " إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجارى الشيطان بالجوع " وهو سر قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ : " إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النيران وصفدت الشياطين ونادى مناد. يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر أقصر ".

درجات الصوم :

و اعلم أن الصوم بالإضافة إلى مقداره على ثلاث درجات، وبالإضافة إلى أسراره على ثلاث درجات.

أما درجات مقداره :

الأولى : أقلها الاقتصار على شهر رمضان .

الثانية : أعلاها صوم داود عليه السلام، وهو أن تصوم يوما وتفطر يوما، ففى الخير الصحيح : أن ذلك أفضل من صوم الدهر، وأنه أفضل الصيام. وسره أن من صام الدهر صار الصوم عادة فلا يحس بموقعه فى نفسه بالانكسار، وفى قلبه بالصفاء، وفى شهواته الضعف، فإن النفس تتأثر بما يرد عليها، لا بما مرنت عليه فلا يبعد هذا، وأن الأطباء أيضا ينهون عن اعتياد شرب الدواء، وقالوا من تعود هذا لم ينتفع به إذا مرض، إذ يألفه مزاجه فلا يتأثر به، واعلم أن طب القلوب قريب من طب الأبدان، وهو سر قوله ﴿ ﷺ وآله﴾ لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما كان يسأله عن الصوم فقال عليه السلام : " صم يوما وأفطر يوما ...

فقال أريد أفضل من ذلك : فقال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " لا أفضل من ذلك " ولذلك لما قيل لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ :إن فلانا صام الدهر فقال﴿ ﷺ وآله﴾:" لا صام ولا أفطر ". وكما قالت عائشة رضى الله عنها لرجل كان يقرأ القرآن بهذرمة إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت .

الثالثة : أوسطها أن تصوم ثلث الدهر، ومهما صمت الإثنين والخميس وأضفت إليه رمضان فقد صمت من السنة أربعة أشهر وأربعة أيام، وهو زيادة على الثلث. لكن لابد أن ينكسر يوم من أيام التشريق وترجع الزيادة إلى ثلاثة أيام .، ويتصور أن ينكسر فى العيدين يومان فتكون ثلاثة أيام فترجع الزياة إلى يوم

واحد فتأمل حسابه تعرفه فلا ينبغى أن ينقص عن هذا القدر صـــومك .، فإنـــه خفيف على النفس وثوابه جزيل.

أسرار الصوم :

و أما درجات أسراره فهى :

الأولى : أن يقتصر على الكف عن المفطرات، ولا يكف جوارحه عـــن المكـــاره، وذلك صوم العموم وقناعتهم بالاسم .

الثانية : أن تضيف إليه كف الجوارح فتحفظ اللسان عن الغيبة، والعين عن النظـــر إلى الزينة، وكذا سائر الأعضاء .

الثالثة : أن تضيف إليه صيانة القلب عن الفكر والوسواس، وتجعله مقصورا علـــى ذكر الله عز وجل وذلك صوم الخصوص، وهو الكمال، ثم الصيام خاتمة بها يكمل وهو أن يفطر على طعام حلال لا شبهة فيه، وأن لا يسكثر من أكل الحلال بحيث يتدارك ما فاته ضحوة فيكون قد جمع بين أكلتين دفعة واحدة فتثقل معدته، وتقوى شهوته، ويبطل سر الصوم وفائدته، ويفضى إلى التكاسل عن التهجـــد، وربمـــا لم يستيقظ قبل الصبح، وكل ذلك خسران وربما لا توزايه فائدة الصوم .

هذا ما كان عليه السلف الصالح، وقد بينت أركان الصوم وفرائضـــه فى الكتب السابقة فاكتفى هنا بما ألمعت إليه، والله سبحانه يوفق إخـــوتى المـــؤمنين بأركان الشريعة على وجهها الأكمل، وأن يمنحنى وإياهم مقام المراقبة فى الأعمال حتى لا يحصل منا تقصير يفسد العمل، ولا غفلة تنقص فضله، ولا أغراض ولا علل تجعله خالصا لله تعالى، إنه مجيب الدعاء .

خامسا : حج البيت

لما كانت الأحكام الشرعية كلها لا يمكن أن يقوم بها العامل على وجهها الأكمل إلا إذا كان عاملا بقلبه وجسمه، ولما كان كل ركن من أركان الأحكام الشرعية للقلب فيه عمل خاص، وملاحظات خاصة لا يمكن أن يكون العمل كاملا شرعا إلا باسيفاء تلك المعانى. ولو أن المسلم حرك جسمه بتأدية الأحكام الشرعية مع غفلة قلبه عن الاستحضار الذى يتمثل فيه لمن العمل، و لم العمل، ومن هو العامل، وما الغاية الباعثة عليه كان العمل ناقصا أو مردودا لعدم استيفاء شروطه شرعا .

و هذا لغفلة القلب، فإن الأعمال البدنية صور ميتة، وإنما حياتها وروحها بالإخلاص فيها. والحج هو الركن المالى البدنى الروحانى : أما كونه بدنيا فلانتقال الجسم من مكان إلى مكان. وأما كونه ماليا فلبذل الأموال فى النفقة على نفسه من زاده وراحلته. وأما كونه روحانيا فلأن الحاج قاصد ربه بانتقاله، فهو لا يقطع مرحلة كونية إلا وتقطع الروح مرحلة من مراحلها حتى تصل إلى جناب القدس الأعلى، ولهذه المعانى كلها أشار الله تعالى إلى أن من توفرت لديه معدات الحج وأهمله كان كأنه كفر، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (1)، أى من كفر بترك الحج بعد الاستطاعة فإن الله غنى عنه وعن عمله، فالحج ظاهره الانتقال إلى مكة المكرمة، وباطنه فرار من الدنيا إلى الملكوت الأعلى بالروح، إنما يهد تلك المعانى من عمل بما علم عملا مطابقا لسنة رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾،قال رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾(من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم).

---

1) آل عمران آية ٩٧

و من خرج من بيته مهاجرا إلى الله موقنا أنه سيزول البين من البين، وتقع عين بصيرته على جمال مولاه العلى كيف يكون حاله فى سيره ؟ لا شك أنه يكون فى أرفع درجات الشوق إلى مولاه، وأكمل أحوال الخشوع والرهبة من ربه الذى خلقه ودعاه إلى حضرته العلية فلباه، لا تخطر على قلبه الدنيا، لاستغراقه فى الشوق إلى الله، فلا ينتقل خطوة إلا ويشهد مشاهد تنمو بها صبوته، وتقوى حالته، وتجدد بها رهبته .

مشاهد الحج :

يشهد فى كل ركن من أركان الحج مشاهد ملكوتية، فيشهد فى مقام الإحرام إخلاص القلب من كل حظ وهوى فى التوجه إلى الله، وتطهير السر من كل علة وغرض لمواجهة الله، وقطع كل علاقة بينه وبين أهله وولده، إقبالا على الله، ورغبة فيما عند الله، وحسن ثقة بولاية الله له، وهكذا لا ينتقل من ركن إلى ركن، ولا من مكان إلى مكان، إلا أشهده الله ملكوت كل مكان، وأسرار كل عمل من الأعمال، حتى إذا وقف على عرفات نفسه فعرف ربه، ورجع البيت الوجهة بيت ربه الحرام منيبا إليه بعد المعرفة ، ذاكرا جنابه العلى لا يشغله عن ذكر الله ذكر والد، بل ولا دنيا ولا آخرة، وعند ذلك يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ثم يتجلى الغفور التواب فيمنحه بدل كل سيئة حسنة، فيرجع كيوم ولدته أمه مطهرا من الذنوب، وهو كمن عبد الله بأخلص نية طول عمر سر قوله تعالى : ﴿ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (1).

و لولا أن هذا المختصر وضعته لأبين للناس أجمعين لا فرق بين المسلم وغيره أن الإسلام هو الدين، لما اكتفيت بهذا الترر اليسير، ولذكرت ما لابد من

---

1) الفرقان آية ٧٠ .

ذكره فى ركن الحج مما يحتاج إليه أخى المسلم، ومن ظهر له جمالات الإسلام، علم أن ما عليه القوم من الأديان الأخرى محض ضلال وتعصب قبيح للآباء، ذلك أمر بديهى إذا نظر نظرة مريد نجاة نفسه، وراغب فى الحق ومتره عقله وفكره عن أن يقبل غير ما يتضح نوره ويظهر دليله.

آداب الحج :

قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : (من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو إن شاء نصرانيا) وقال : " بنى الإسلام على خمس " الحديث. وللحج أعمال ظاهرة ذكرناها فيما سبق لنا من الكتب ونريد أن ننبهك فى هذا المختصر على آداب دقيقة، وأسرار باطنة، أما الآداب فسبعة .

الأولى : أن ترتاد للطريق رفيقا صالحا، ونفقة طيبة حلالا، فالزاد الحلال ينور القلب، والرفيق الصالح يذكر الخير، ويزجر عن الشر .

الثانية : أن يخلى يده عن مال التجارة كى لا يتشعب فكره، وينقسم خاطره، ولا يصفو للزيارة قصده .

الثالثة : أن يوسع فى الطريق بالطعام، ويطيب الكلام مع الرفقاء والمكارى .

الرابعة : أن يترك الرفث والجدال والتحدث بالفضول فى أمر الدنيا، بل يقصر لسانه بعد مهمات حاجاته على الفكر وتلاوة القرآن .

الخامسة : أن يركب راحلة دون المحمل، ويكون رث الهيئة، أشعث أغبر، غير متزين، بل على هيئة المساكين حتى لا يكتب فى جملة المترفين .

السادسة : أن يترل عن الداية أحيانا ترفيها للدابة، وتطييبا لقلب المكارى، وتخفيفا للأعضاء بالتحرك، ولا يحمل الدابة مالا تطيق، بل يرفق بها ما أمكن .

السابعة :أن يكون طيب النفس بما أنفق من نفقة، وبما أصابه من تعب وخسران، وأن يرى ذلك من آثار قبول الحج، فيحتسب الثواب عليه.

أسرار الحج :

و أما أسراره : فكثيرة نرمز منها إلى أمرين :

الأمر الأول : أنه وضع بدلا عن الرهبانية التي كانت في الملل السابقة كما ورد به الخبر فجعل الله سبحانه الحج رهبانية لأمة سيدنا ومولانا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾، فشرف البيت العتيق، وأضافه سبحانه إلى نفسه، وجعله مقصد العباد، وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره، وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره، ووضعه على أمثال الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق، ضعفاء غبراء متواضعين لرب العالمين، خضوعا لجلاله، واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزهه عن أن يكتنفه بيت، أو يحويه مكان، ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم لذاته جل جلاله، ولذلك كلفهم سبحانه أعمالا غريبة لا تناسب الطبع والعقل، ليكون إقدامهم بحكم محض العبودية، وامتثال الأمر وغير معاونة باعث آخر، وهذا سر عظيم في الاستعباد، ولذلك قال ﴿ ﷺ وآله﴾ : " لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا " .

الأمر الثاني : أن هذا السفر وضع مثالا لسفر الآخرة، فليتذكر المريد بكل عمل من أعماله أمرا من أمور الآخرة موازيا له، فإن فيه تذكرة للمتذكر، وعبرة للمعتبر المستبصر، فتذكر من أول سفرك عند وداعك أهلك، وداع الأهل في سكرات الموت، ومن مفارقة الوطن الخروج من الدنيا، ومن ركوب الجمل وركوب الجنازة، ومن الالتفاف في أثواب الإحرام الالتفاف في أثواب الكفن، ومن دخول البادية إلى الميقات ما بين الخروج من الدنيا إلى ميقات القيامة، ومن هول

قطاع الطريق سؤال منكر ونكير، ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه، ومن انفرادك عن أهلك وأقاربك وحشة القبر ووحدته، ومن التلبية إجابة داعى الله جل وعز يوم البعث، وكذلك فى سائر الأعمال فإن فى كل عمل سرا، وتحته رمزا يتنبه له كل عبد بقدر استعداده للتنبه بصفاء قلبه، وقصور همه على مهمات الدين والله سبحانه وتعالى أسأل أن يمنحنا المعونة والتوفيق لعمل ما يحب، ويجعل لنا نورا نمشى به فى الناس إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قصائد فى العبادة

للإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبي العزائم

قال رضى الله عنه :

تنوعـــــت العبـــــادةُ للتـــــدانى ... لتشـــرق شمـــس أســـرار القـــرآن

ظهـــور المثوبـــة حـــال جمعـــى ... و محـــو الـــبين فى فـــرق البيـــان

بها النســـب القريـــب مقـــام عبـــد ... يصـــح لمـــن تحصـــن بالأمـــان

و أهل القرب قـــد فقهـــوا فقـــاموا ... فجملـــــهم بـــــأنوار المعـــــانى

صـــــلاة فى صـــــيام فى قيـــــام ... جهـــاد للشـــهود لـــدى العيـــان

أرانى فى العبـــــادة عبـــــد ربى ... أراه ظـــــاهرًا عـــــين العيـــــان

يـــــوفقنى لمـــــا يرضـــــيه عـــــنى ... إليـــــه ضـــــارعا فى كـــــل آن

و حـــــجٌّ فى زكـــــاة فى ابتـــــهال ... و نـــــور ألوهـــــة والعبـــــد

مقـــام عبـــودة قـــرب اتحـــاد ... تـــتره عـــن حلـــول أو مكـــان

أنـــا عبـــد أرى ربى عيانـــا ... و يرضـــينى برضـــوان الجنـــان

تـــراه الـــروحُ فى الإقبـــال ربى ... ســـقانى خمـــرةً رسمـــى دنـــانى

هى الآى الـــتى لاحـــت لروحـــى ... بهـــا جـــذبى إليـــه بـــلا تـــوانى

أمـــامى ظـــاهرا حيـــث أولى ... أنـــال الفضـــل إحســـان الحنـــان

يـــــوفقنى فأعبـــــده تعـــــالى ... عجزت عـــن الثنـــا قلـــبى لســـانى

أمـــد العبـــدَ بالإيجـــاد فضـــلا ... أعـــان علـــى العبـــادة والتـــدانى

عجزتُ عن الثنا عن حصـــر نعمـــى ... توالـــت مـــن أياديـــه الحســـان

بفضل منه زكى النفس ربى فأشبهت الملائك بالحنان
أبى سائح فى نور قدسك يحيط الوجه بى فى كل شان
و شكرى نعمة منه تعالى علىَّ وقد عجزتُ عن البيان
لك الشكر الجميل لك الأيادى فجمِّلنى بأسرار القرآن
و أيِّدْنى بروح منك ربى لأسعد منك بالحسنى حنان

قال رضى الله عنه :

سرُّ التكاليف رمز لست تدريه و كيفَ تعلمُ سرًّا فيك أخفيهِ
إن شئت تعلمه فاعدِمْ وجودَك لا تركنَ إلى الغيرِ فى حال وتوليهِ
هذى التكاليفُ رمز أنت طلسَمُهُ فاسلُبْ وجودَك فالإيجابُ ينفيهِ
عرضت سرى على كل العوالم من حيث التنزُّلِ كما قد يعانيهِ
أبى الجميعُ لنورٍ فيك قد سطعتْ شموسُهُ وبلغت اليوم عاليه
حملت عبئا ثقيلا أنت مظهره لما تحملتَ من أسرارِ باريهِ
ها أنت جوهر كنز الكنز فى عماءٍ و أنت بغيته أقصى أمانيه
لولا وجود صفاتي فيك ما ظهَرتْ لك الحقائقُ من أنوار داعيهِ
حلاك بالفضلِ من معنى محاسنِهِ حتى سمعت خطابا عنه ترويهِ
فافهم إذا سرَّ تكليفِى وكن فطنًا فأنت زهرُ رياضِ الحسنِ والتِّيهِ
فى حضرتِى سَجدتْ أملاكُنَا شرفًا لما تجمَّلت من معنى مباديه

قال رضى الله عنه :

فؤادى إلى هذا الجناب يسارعُ و قلبى إلى نور الحقيقة ضارعُ
و عهدى قديم يسكر الرُّوحَ ذكرُهُ لأن حياةَ الروح تلك المرابع
و إن نظرتَ عينى إلى أىِّ كائن تغيب المبانى والمعانى سواطعُ

لأن المعانى الشمس والكل أنجمٌ إذا أشرقت فالنجم بالشمس طالعُ
لذاك إذا صليت صليت فانيا عن اللون والأكوانِ والنورُ لامعُ
أحرم فى التكبير مشهدَ غيرِهِ و أشهد بالتنزيه إذ أنا راكعُ
و أسجدُ عن نفسى وفعلى فانيا و أسجد أخرى عن فنائى توابعُ
لأن سجود العبد مثلُ طوافِهِ بسبع صفات أثبتتها الشرائع
و علمنى الأسماء فى الجمع كلِّهَا و أثبتنى بالحق والحسنُ شائعُ
و ما صامَ إلا عن سوى ما يحبُّه كذلك عبدُ الذَّاتِ فى القرب طامعُ
و حملنى تلك الأمانة بعد أن نجلت على مرآة قلبى الودائع
و بايعنى واختار ذاتى لذاته فذقت جمال العبد حين أبايعُ
و لى فيه معنى أنى أنا عبده و للسيد الوهاب فى العبد طابعُ

قال رضى الله عنه :

كرِّر الشكرَ رغبةً فى المزيدِ فبتكراره نوالُ السعود
و احمد الله دائما وتبتَّلْ ضارعا فى نوال فضل الودودِ
و اشتغل بالثناء دوما على مَنْ قد حباك بالفضل بعد الوجودِ
و أدم ذكرَه بقول وقلبٍ فبذكراه نيل قرب الودودِ
و توكَّلْ عليه فى كل شأن فهو نعمَ الوكيلُ عندَ الرشيدِ
و اسألنه مع اليقين تنلْ مَا ترتجيه من فضله بالمزيد
فهو بر ومنعم وكريم و رءوف ومنعمٌ بالمزيد
لو تناديه باليقين يلبى بعطايا لا تحصرن بالحدود
و هو مولاك فاتخذه وكيلاً و مُعينا فى كلِّ أمرٍ شديدِ
وجه القلبَ واللسانَ إليه بيقين لا تلتفتُ للعبيد
و اجعل المصطفى الحبيب غياثا فهو أولى من والدٍ وجدودِ

و اتخـــذه أبـــا رءوفًـــا رَحيمًـــا و ادْخُلَـــنْ حصـــنه بعـــزم أكيـــدِ
يـــا حبـــيبى ونـــور قلـــبى إنِّـــى أرتجـــى نظـــرة بعـــينِ الـــودودِ
صـــلوتٌ عليـــك مِـــن ذات ربِّ نعطى منها الرضـــا بفضـــلِ مزيـــدِ

قال رضى الله عنه :

نعماكَ عن حصرِها قد يعجـــزُ العقـــلُ و بعد هذا يـــوالى الجـــذب والفضـــلُ
و الشكرُ يا سيدى من فـــوق طاقتنـــا فكيف نشكر مـــالا يحصـــه القـــولُ
الخـــير منـــك يوالينـــا وأنفسُـــنَا نزاعة قـــد دعاهـــا الغـــى والجهـــلُ
جـــوارحى نزعـــت للغـــىِّ جانحـــة لمـــا يلائمهـــا والباعـــث الميـــلُ
لم يكبحنْهـــا وعيـــدٌ وهـــو جامحـــةٌ إلى المجـــانس وهـــو الصـــد والســـفلُ
عجزتُ عن كبحِهَا مـــولاى أدركـــنى وزَكِّ نفْســـى فـــإنَّ الـــنفسَ تنفعـــلُ
علـــى يقـــينٍ بـــأن الغـــىِّ يـــوبقنى تـــولنى كـــى بخـــيرِ الخلـــقِ أتصِـــلُ
أيام عمرى انقضتْ فى الفحش فى ظلمٍ أغِثْ عُبيـــدًا علـــى مـــولاه يتكـــلُ
بغـــضْ إلىّ المعاصـــى عمِّـــرَنْ قلـــبى حـــتى أفـــرَّ لنيـــلِ الوصـــل أرتحـــلُ
العلـــم يهتـــف بالأعمـــال أبنـــائى ما قيمة العلـــم إن لم يظهـــر الفِعـــلْ
أعوذ بـــالله مـــن نفســـى جوارحِهَـــا إليـــه ألجـــأ قصـــدى كلُّـــه الوصـــل
وجهت وجهى إلى مـــولاىَ مضـــطرًا بدِّلْ خطايـــاى أو يهـــوِى بى العـــدلُ
أشـــكو إلى اللهِ نفســـى زكِّهَـــا ربى و طهِّرْنهـــا مـــن الأوزار قـــد تســـلو
مولاى خوفَ من فعل الجـــوارحِ قـــدْ أذاب قلـــبى وبـــالغفران قـــد أعلـــو
يسِّـــرْ عطايـــاك رضـــوانًا وعافيـــةً و خيرُ نُعمـــاك تُـــولى منـــك يتصـــلُ
هدايـــة منـــك توفيقًـــا لمـــا ترضـــى و الخيرَ منـــك لأولادى بـــه اتصـــلُوا

(تم بحمد الله وحسن توفيقه)

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون المكتبة / 002 022 3901030

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول (ﷺ وآله).

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى (ﷺ وآله)

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.
٣- الشفاء من مرض التفرقة.
٤- الجفر.
٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.
٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.
٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :
١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله (ﷺ **وآله)**.
٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :
١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج
٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار
٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان
٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :
١- محكمة الصلح الكبرى.
٢- العالم والتاجر والفلاح.
٣- المقتصد والمسرف والفاسد.
٤- السياسى والحكيم والغشيم.
٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :
١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.
٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.
٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :
١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.
٣- معارج المقربين.
٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.
٥- من جوامع الكلم.
٦- الطريق إلى الله تعالى.
٧- الفرقة الناجية.
٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.
٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.
١٠- مصطلحات الصوفية
١١- آداب أل العزائم
١٢- دروس تزكية النفوس
١٣- موارد أهل الصفا
١٤- قبس من المضنون
١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:
١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.
٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.
٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

الفـــــهرس

الموضوع رقم الصفحة

فاتحة الكتاب
مقدمة
التوبة
تعريف التوبة
الندم على التوبة
أقوال الصوفية فى التوبة
التوبة النصوح
خصال التوبة
علامة صدق التوبة
حقيقة التوبة
المعصية ظلمة فى القلب
مجالس التوابين
درجات التوبة
١ – التوبة من الذنب
٢ – التوبة من التوبة
صور التظاهر بالتوبة
التائبون

التائبون تخلقوا بالقرآن

التائبون أهل القرآن

التائبون يمشون على الصراط

التائبون يفرون مما يؤدى إلى غضب الله وسخطه

التائبون وتلاوتهم للقرآن

قصائد فى التوبة

العبادة

تعريف العبادة

العبادة الخالصة

العبادة رعاية الأدب مع الله تعالى

العبادة أساس خلق الكون كله

العبادة أكمل أعمال القلوب والجوارح

العبادة روح الأعمال

العبادة مقاما المحبوبين

أركان العبادة

أنواع الأعمال فى العبادة

أحوال الإنسان فى العلم

مراتب العلم

أقسام العبادة

حكمة العبادة

الأمراض التى لا يمكن إزالتها إلا بالعبادة

بالعبادة طهرة القلب

بدون العبادة تبقى النجاسات
حكمة وجود النوازع فى الإنسان
الفضيلة وسط بين رزيلتين
متى تتحقق صفة العبادة
حقيقة التعصب للدين والعبادة
أقسام العبادة
أولا : شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله
العقيدة التى يجب أن يعقد المسلم قلبه عليها
التسليم والإيمان شرط فى كمال الإسلام
كل إنسان مؤهل لمعرفة تحصل بها النجاة
الطريق الموصل للخير الحقيقى
أساس العقيدة
ثانيا : إقام الصلاة
المقصود من الطهارة
المحافظة على الصلاة
صورة الصلاة
الغفلة فى الصلاة
الصلاة الناقصة
الإخلاص فى الصلاة من المحافظة عليها
جوابر الغفلة فى الصلاة
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
أسرار فى الصلاة

ثالثا : إيتاء الزكاة
الأمور التى يجب المحافظة عليها فى الزكاة
رعاية الصلاح أصل فى العبادة
من رموز الزكاة وأسرارها
من غوامض أسرار الزكاة
رابعا : صوم رمضان
الصوم تجمل بجمال الروحانيين
خصوصية الصوم
درجات الصوم
أسرار الصوم
خامسا : حج البيت
مشاهد الحج
آداب الحج
أسرار الحج
قصائد فى العبادة
الفهرس